



العدد
٣٨٤

السنة الثالثة والثلاثون
محرم ١٤٤٠ هـ - أيلول / سبتمبر ٢٠١٨ م

جامعية - فكرية - ثقافية

كلمة الوعي

أردوغان يصرح ويعترف
أنه يفهم الإسلام على طريقة الغرب،
وليس على طريقة سيدنا محمد ﷺ ص ٣

نداء حار إلى المسلمين في ذكرى الهجرة النبوية ص ٢١

وماذا بعد الأخلاق؟ ص ٣٥

النصر: معناه، سببه، شرطاه، موانعه ص ٣١

استراتيجيات سياسة القوة لدى مفكري الغرب (٢) ص ٨

المحتويات

• **كلمة الوعي:** أردوغان يصرح ويعترف أنه يفهم الإسلام على

طريقة الغرب، وليس على طريقة سيدنا محمد ﷺ ٣

• استراتيجيات سياسة القوة لدى مفكري الغرب

في القرنين التاسع عشر والعشرين:

٨ كيفية السيطرة على العالم باستخدام القوة (٢)

١٣ • الهجرة النبوية

• نداء حار إلى المسلمين في ذكرى الهجرة النبوية،

٢١ ذكرى إقامة الدولة الإسلامية

٢٥ • عامة علماء المسلمين: حديث الآحاد لا يفيد الاعتقاد (١)

٣١ • النصر: معناه، سببه، شرطاه، موانعه

٣٥ • وماذا بعد الأخلاق؟

٤٠ • أخبار المسلمين في العالم

٤٤ • مع القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾

• رياض الجنة: صلة الرحم تُدخل صاحبها الجنة،

٤٧ وقاطع الرحم لا يدخل الجنة.

٤٩ • موقف السلف الصالح من العلاقة بين العلماء والحكام

• كلمة أخيرة:

٥١ السعودية تسير علناً عوجاً في تسليم فلسطين ليهود

العدد

٣٨٤

السنة الثالثة والثلاثون

محرم ١٤٤٠ هـ

أيلول/سبتمبر ٢٠١٨ م

مثل النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١٠٠ أميريكي
باكستان	١٠٠ أميريكي
أستراليا	٢٠,٥ \$
أميركا	٢٠,٥ \$
كندا	٢٠,٥ \$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

أردوغان يصرح ويعترف أنه يفهم الإسلام على طريقة الغرب،

وليس على طريقة سيدنا محمد ﷺ

إن ما اصطنعه ترامب من أزمة مالية مع تركيا بإثارة موضوع القس الأميركي برونسون المحتجز لديها منذ ٢٠١٦م من باب الضغط للإفراج عنه، وما تبع ذلك من فرض عقوبات على وزيرى الداخلية والعدل التركيين بذريعة استمرار رفض أنقرة الإفراج عن القس، ورد أنقرة بالمثل. ثم ما تبعه من إصدار ترامب أمراً بمضاعفة الرسوم على واردات الصُّلب والألمنيوم من تركيا، ورد أردوغان بالتعامل بالمثل، وما صاحب ذلك من تصريحات متضادة... هذا كله قد أدى إلى هبوط الليرة التركية وفقدانها ما يعادل ٢٠ بالمائة من قيمتها أمام الدولار، خلال الأسبوع الثاني وحده من آب/أغسطس، ونحو ٤٠ بالمائة من قيمتها منذ بداية العام.

إن ما يلفت النظر في هذه الأزمة المصطنعة، أن العملاء لا قيمة لهم أمام مصالح الأسياد. فأردوغان بالرغم من كل ما قدمه ويقدمه لأميركا من خدمات وخاصة في سوريا؛ حيث كانت له اليد الطولى في ضرب ثورة المسلمين على نظام أسد الاستبدادي بما فعله في حلب عندما سحب المقاتلين التابعين له منها وأشغلهم في معاركه مع الأكراد؛ وذلك في الوقت نفسه الذي هاجمها النظام المجرم ومعه الروس وإيران وميليشياتها وكل أهل الشر... وبالرغم من أنه ينسق مع روسيا وإيران اللتين ترتكبان أبشع الجرائم بحق أهل سوريا المسلمين؛ لإيصال الوضع هناك إلى إعلان انتصار أسد ونظامه الأمني الأكثر إجراماً في العالم عبر أستانة وصولاً إلى جنيف حيث تنتظرهم أميركا لتفرض الحل الذي تريده... بالرغم من ذلك فهي اتخذت إجراء عقابياً بحقه؛ مسببة له الإحراج الدولي وكاشفة عن ضعف اقتصاده، وكاشفة أن مثل هذه الدول هي دول كرتونية أمام الغرب، ومن أسهل ما يكون عندها تهديد كيائها، وزعزعت حتى وتغييره. وهذا ما جعل أردوغان يستغرب هو ووزير خارجيته أن تتعامل معهم أميركا بهذه الخفة.

وإن ما يلفت النظر كذلك في هذه الأزمة المصطنعة أن معاناة الشعوب لا تعني الدول الكبرى، ولا الدول العميلة لها بشيء فضلاً عن أنهم هم من يخلقونها؛ فبالإضافة إلى ما سبَّبه تدخل أردوغان في الشأن السوري لمصلحة أميركا من انهزام للمسلمين هناك، ومن مأس لا تحصى لهم، فما هو يتسبب بمثلاً لشعبه بما يجره مثل هذا الصراع المصطنع من تدني معيشتة، وتهديد لاقتصاد بلده. أما أميركا؛ فحدّث ولا حرج، فمعروف عنها في علاقاتها الدولية استخفافها بجميع الدول الأخرى، بمن فيهم عملاؤها، وهي لا تسأل عن قانون دولي ولا عن أمم متحدة إذا تعارضت مع مصالحها. فاهتماماتها بالشعوب ومصالح الدول ليس في حسابها في شيء، بل هي التي تسببها

إذا اقتضت ذلك مصالحها.

أما ما يجب لفت النظر إليه وبقوة إلى أن أردوغان هذا له فهم للدين أعوج غير مستقيم. فهو كحاكم لبلاده لا تجد عنده أدنى تقيد بأحكام الإسلام، وهو لا يخفي ذلك، بل هو يصرح به منسجماً مع قناعاته، فهو يقول عن نفسه كفرد إنه مسلم، وعن حكمه إنه علماني، أي لا ديني. ففي مقابلة مع الإعلامي تركي الدخيل في ٢٠١٧/٠٢/١٨ م قال: «... أولاً الأفراد لا يمكن أن يكونوا علمانيين، الدولة تكون علمانية، هذه نقطة مهمة... والعلمانية تعني التسامح مع كافة المعتقدات من قبل الدولة، والدولة تقف من نفس المسافة تجاه كافة الأديان والمعتقدات... هل هذا مخالف للإسلام؟ ليس مخالفاً للإسلام... وأنا أقول نحن لا نعتبر العلمانية معاداة للدين أو عدم وجود الدين، وقلت الفرد لا يمكن أن يكون علمانياً، والعلمانية ليست ديانة، الدولة هي التي يمكن أن تكون علمانية، والعلمانية هي ضمان فقط حريات كافة الأديان والمعتقدات، يعني العلمانية توفر الأرضية الملائمة لممارسة كافة الأديان ممارسة شعائرها الدينية بكل حرية حتى الملحدين». إن أردوغان، بهذا التصريح، يعلن عن أن الإسلام دين فردي يقوم على العبادات الفردية، مثله مثل سائر الأديان، وليس فيه أنظمة حكم، ولا شريعة حياة. وهذا مخالف للإسلام مخالفة جوهرية تجعل صاحبها على خطر عظيم عند ربه. وهذا الفهم غير المستقيم للإسلام، ينسجم كثيراً مع تصرفاته كفرد وكحاكم، ونرى بأن هذا الشخص يقرأ القرآن ويجوده بصوت رخيم، ويصلي ويصوم ويظهر مشاعر إسلامية تجاه المسلمين في بلده والمسلمين في سائر بلاد المسلمين، ولكن من الناحية الفردية دون أن تتعدى عنده إلى أمور الحكم، فهو هكذا تعامل مع مسلمي الروهينغا حيث اقتصر تعامله مع قضيتهم على مشاعر التعاطف بالقول وتقدير مساعدات مالية ولم يتعداها إلى العلاقات الدولية... فإن علاقاته بالدول قد تتأثر نتيجة هذه المواقف، ولكن لا أحد من هذه الدول تتهمه بتصدير الإسلام إليها، حتى أميركا والغرب واليهود، الذين هم من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين، لا يتعاملون معه من زاوية أنه صاحب مشروع إسلامي، بل على العكس، هم يتعاونون معه وهو يتعاون معهم في حربهم على الإسلام (في أفغانستان وفي العراق، وفي سوريا)... وفي سوريا تحديداً بدا الأمر واضحاً جداً من خلال إعلان أردوغان نصرة المسلمين في سوريا واحتضانهم كمهاجرين أفراد يقدم لهم المعونة والإيواء والتسهيلات التي يحتاجونها في ظروفهم الصعبة، ولكنه بقي يتصرف كرئيس دولة علمانية لا تستمد أحكامها من الشريعة الإسلامية كما هو مؤمن به، وكما أعلن، بل عمل على استغلال الحالة العسكرية في سوريا لمصلحة دولته تركيا كدولة علمانية. هذا الأمر يعلنه أردوغان ولا يخفيه، ولا يخرج عنه، لا في تصريحاته ولا في تصرفاته. هو يفهم الإسلام بهذه الطريقة، ولا يستحيي منه ولا يعتبره خطأ؛ فقد كتب مقالاً لصحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية، تحت عنوان: «كيف ترى تركيا الأزمة مع الولايات المتحدة؟» تناول فيه تاريخ الشراكة بين تركيا والولايات المتحدة، وسبب الأزمة التركية الأميركية، والطريقة التي يجب معالجتها الأزمة بها كي لا تتفاقم، ومما كتبه: «على مدى العقود الستة الماضية، كانت تركيا والولايات المتحدة شريكتين

استراتيجيتين وحلفاء لـ «الناتو». لقد وقف البلدان جنباً إلى جنب ضد التحديات المشتركة خلال الحرب الباردة وعقبها». وأضاف: «على مر السنين، هرعت تركيا إلى مساعدة أميركا عند الضرورة. جنودنا وسيدائنا قاتلاً معاً في كوريا... وفي أعقاب هجمات ١١ سبتمبر (أيلول) الإرهابية، حينما اعتمدت واشنطن على أصدقائها وحلفائها لرد الضربة ضد الشر، أرسلنا قواتنا إلى أفغانستان للمساعدة في إنجاز مهمة الناتو هناك». هذا الكلام من أردوغان صريح تمام المصارحة أنه لا يخرج عن قناعته في فهم الدين، فهو بتصرفه كرئيس دولة علماني لا يتقيد بالإسلام، بل يتقيد بدستور علماني أقسم على تطبيقه، وليست عنده مشكلة في هذا. فما هو يعلن فيما يعتبر موقفاً رسمياً له، أن تركيا وقفت مع أميركا في أزماتها مع الاتحاد السوفياتي، ومعها في الناتو، ومعها في أفغانستان، وكل واحدة من هذه حرمتها كبيرة في الإسلام، وبما أن هذه المواقف لا تعلّق للإسلام بها في نظر أردوغان؛ فهو لا يرى بأساً في أن يكون جنباً إلى جنب مع أميركا في حربها الباردة مع الاتحاد السوفياتي، وهذا يحرمه الإسلام. وهو مع أميركا في حربها ضد كوريا وهذا يحرمه الإسلام. وهو شارك مع أميركا في احتلالها لأفغانستان، وشارك في حربها ضد الإسلام تحت نفس مسماتها «الحرب على الإرهاب». وهو مع أميركا في سوريا، وهذا حرّمته أكبر في الإسلام... الأهم في كل هذا أن أردوغان يرى أن مواقفه هذه غير متعلقة بالدين؛ لأن هوية الدولة التركية هي «العلمانية» وليس الإسلام. أما هويته الفردية فهو مسلم كشخص فحسب.

من هنا، فإن على كل مسلم أن يعلم أن هذا هو أردوغان. وهو رئيس دولة علمانية ويتبع له حزب علماني، ويحكم بدستور علماني، ويتعامل بالربا في الداخل والخارج، وعلاقات بلاده الخارجية كلها قائمة على غير الإسلام، وكذلك تعاملاتها في الداخل هي علمانية؛ وهذا نراه عياناً في الواقع. نعم، هذه هي قناعات أردوغان، حتى وهو يريد أن يبعث العثمانية من جديد، فمن هذا المنطلق، وليس من منطلق خلافة إسلامية كما كانت في غابر التاريخ، ولا من منطلق أنه يريد إقامة خلافة راشدة كما أمر الإسلام، يعز الله بها الإسلام وأهله، ويذل الكفر وأهله... هذه المفاهيم الشرعية كلها غائبة عن قاموس الحكم لديه.

ومن هذا المنطلق هو يتعامل بالربا في علاقاته الدولية ولا يرى ضيراً في ذلك. ويحافظ على علاقات سياسية وديبلوماسية واستخباراتية وتجارية مع يهود ولا يرى مخالفة شرعية في ذلك؛ لأن الدولة تكون علمانية وليست إسلامية. ويدخل في حلف الناتو مع أميركا ودول الغرب النصراني الكافر المعادي للإسلام، ويشارك في أعماله الحربية ويسير معه في تحقيق أهدافه، والتي منها منع الإسلام من الوصول إلى الحكم، والتي منها مشاركته في احتلال أفغانستان، والتي تولت تركيا قيادته هناك أكثر من مرة... وهو يعلن ذلك ولا يخفيه ولا يعتبر نفسه أنه يخالف الشرع ويرتكب الإثم. ومن هذا المنطلق، هو يقيم في بلده نظاماً اقتصادياً ليس له أدنى تعلق بالإسلام، ويقوم على ما تقوم به أنظمة الكفر الرأسمالية، والذي يوضح الصورة أكثر وأكثر فإن أهل تركيا ذوي الغالبية الإسلامية يمارسون حياتهم كل بحسب معتقده ومفاهيمه عن الحياة بمن فيهم المسلمون، ولكن

على أساس فصل الدين عن الدولة، فلو أن مسلماً شرب الخمر، أو زنا، أو سرق أو قتل أو ارتد... فإنه لا تطبق عليه العقوبات والحدود الشرعية... حتى إننا نجد في بعض المعالم التركية السياحية، ما يعرف بالسياحة الجنسية... وهو لا يجد أن هذا يوجب الشرع عليه كحاكم أن يمنعه... فبالنسبة إلى الحكم، فإن كل شيء يسير في تركيا كما كان يسير من قبل أن يأتي أردوغان إلى الحكم، وعلى طريقة (أتاتورك) في الحكم... الذي اختلف هو أمر واحد، وهو أن أتاتورك كان يتبنى علمانية معادية للدين، وللإسلام بالدرجة الأولى، فهو كما نعلم منع الأذان بالعربية، وأغلق الكثير من المساجد، ومنع الحجاب، وترجم القرآن إلى التركية... أما أردوغان فإنه تبنى علمانية غير معادية للدين. وبما أن غالبية الناس مسلمة، كان لهذا التحول أثره الطيب على نفوس المسلمين، ووجد تقبلاً عارماً عند مسلمي تركيا، وخاصة بعد أن استطاعوا، خلال فترة حكمه، أن يمارسوا شعائهم الدينية التعبدية التي كانوا محرومين منها من قبل، وفتح لهم الكثير الكثير من المساجد المغلقة. كذلك وجد تقبلاً عند المسلمين في جميع أنحاء العالم، وأخذوا ينظرون إلى هذا التحول على أنه التحول الشرعي المطلوب، ويعولون عليه التغيير الشرعي المنشود. والذي زاد تمسكهم به هو معاداة الفئة العلمانية لكل تحركاته، وتوجسهم خيفة من كل تصرف يتصرف به واعتباره أنه يعمل على القضاء على إرث (أتاتورك). ولأن عوام المسلمين تقوم مواقفهم على ردات الفعل، فإنهم زادوا تمسكاً به وتأييداً له، وظهر ذلك في نجاحه في الانتخابات، وفي تأييده ضد العسكر، وفي وقوفهم إلى جانبه ضد الانقلاب.

وصار المسلمون في كل مكان ينظرون إلى أردوغان أنه هذا البطل الإسلامي هو الذي سيوحد الأمة ويغير لها وضعها السيئ جداً إلى الوضع الإسلامي المنشود. وتراهم يدافعون عنه ويقولونه ما لم يقل وينسبون إليه أعمالاً، ويضعون له أهدافاً من نسج خيالهم، فمن قائل إن أردوغان يريد أن يقيم الإسلام بالتدرج بينما هو لا يؤمن بالتدرج ولا يعمل له، هو يسير بحسب قناعاته فحسب، وهو مؤمن أن لا دولة إسلامية في الحياة، بل علمانية، هو صرح بذلك من غير إخفاء لأن هذه هي قناعته. وإذا قلت لهم ذلك يقولون إن هدفه إقامة الدولة الإسلامية وهذا أمر لا يعلنه الآن... إنهم ينظرون إليه بعين المحب الكليّة التي لا ترى الأمور على حقيقتها.

إن ما ارتكبه أردوغان في سوريا مثلاً يعتبر خيانة للإسلام وجريمة ضد المسلمين؛ فهو كان المساهم الأول في هزيمة الثورة، وهو يقف إلى جانب روسيا وإيران وينسقون خطواتهم كلها، فكيف ينظر هؤلاء إلى أردوغان على أنه أملهم وملهمهم، وينظرون في الوقت نفسه إلى روسيا وإيران على أنهم أعدى أعداء الأمة؟!!

وإنه ليحق لنا التساؤل بعد هذا الكلام، وعلى من يقرأ أن يقرأ بهدوء ويفكر تفكيراً شرعياً يرضي الله، لا أن يسير مع أمانئيه، وأماني شيطانه، فالمسلم هو اه تبع للشرع، نعم يحق لنا التساؤل: هل يجوز شرعاً لمن يفترض به أن يكون حاكماً للمسلمين أن يتعامل بالربا؟! وهل يجوز أن يكون ولاؤه لغير الله، بأن يكون لأميركا؟! وهل يجوز له أن يكون عضواً في حلف شمال الأطلسي

(الناتو)؟! وهل يجوز شرعاً أن يسعى لأن ينضم إلى الاتحاد الأوروبي؟! وهل يجوز شرعاً أن يقيم علاقات مع (إسرائيل)؟! هل ما يقوم به من تنسيق مع إيران وروسيا بشأن سوريا والعمل على إيصال الثورة إلى الانهزام، وبشار أسد إلى الانتصار؟! هل يجوز له كحاكم أن يحكم بدستور علماني كافر، أو أن يسمح أن يكون في تركيا الزنا مشرعاً، والخمر يباع ويشترى، وبيوت الدعارة مرخصة... انظروا إليه في فيديو له يتكلم فيه بعظمة لسانه أنها لا يعتبر جريمة ممارسة الشذوذ الجنسي (لواط أو سحاق) جريمة يعاقب عليها القانون، بل هي من ضمن الحرية الشخصية التي يصونها القانون التركي، استمعوا له في مقابلاته الأخيرة كيف يقول إن هوية الدولة علمانية أي أحكامها من وضع البشر، أي يكون التشريع فيها لغير الله... إن كل حالة من هذه الحالات التي ذكرناها عن أردوغان تعتبر حالقة للدين، مغضبة لرب العالمين.

إننا في هذا المقال نعرض واقع أردوغان كما هو، من غير زيادة ولا نقصان، نعرضه كما هو يعلنه ولا يخفيه، وكما هو مقتنع به

ولكن للأسف لا يوجد هذا التصور الخاطئ من أن أردوغان هو قائد إسلامي، إلا في ذهن من يحبون الإسلام أن يظهر، وأن ينتصر ولكن لا يفهمون الإسلام بشكل صحيح سواء عند الأمة بعمومها، أو عند العلماء الذين أخذوا علمهم في معاهد شرعية جعلت الإسلام عضيئ؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعض.

من خلال هذه القراءة يجب أن تقرأ صفحة أردوغان. والفهم غير الصحيح للإسلام هو الذي يورث مثل هذه المواقف لدى المسلمين الذي يعيشون حالة من التناقض، فهم يحبون دينهم حباً لا يُعلَى عليه، وهو أغلى ما عندهم، ويتعرضون للكثير من المؤامرات من الكفار لإبعادهم عنه، وهم تحملوا ويتحملون في سبيل التمسك به وتطبيقه الشيء الكثير، ولكنهم لا يفهمون ما يريده الله منهم لإقامة الدين؛ لذلك كان من السهل على المتربصين للإسلام أن يلعبوا على المسلمين في هذا المجال، وأن يخرجوا لهم في كل فترة وجهاً جديداً ليلعبوا به على الأمة ويجروهم وراءه ويضيعوهم عن هدفهم في إقامة الدين، وآخر محاولتين في هذا المضمار كانت أنهم أوجدوا نسخة مشوهة عن الخلافة تمثلت بتنظيم الدولة، وكانت الغاية منها إيجاد حالة عامة من الرفض لها. وبعد إيصال هذه المحاولة إلى الوضع المخطط له، نراهم يضغطون على الحركات الإسلامية التي تقوم بالعمل السياسي لتتخلى عن عملها السياسي في الإسلام، أو عن الإسلام في عملها السياسي، وتكون كغيرها من الحركات السياسية العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة، وتضرب أردوغان مثلاً ومودجاً لهم ليكونوا على طريقته في فهم الإسلام، والتي هي طريقة الغرب في فهم الإسلام....

أيها المسلمون هذا هو أردوغان فلا تخذعوا أنفسكم به، وهو إن كان يقوم بحق الله عليه في نفسه من صلاة وصيام وتلاوة قرآن... فإنه مفرط بحق الله عليه في كونه حاكماً لا يحكم بالإسلام، وفاهم للدين على طريقة الغرب في فهم الدين بتبني العلمانية القائمة على فصل الدين عن الحياة قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ■

استراتيجيات سياسة القوة لدى مفكري الغرب

في القرنين التاسع عشر والعشرين:

كيفية السيطرة على العالم باستخدام القوة (٢)

عبد الحميد عبد الحميد

لأننا في عالم رأسمالي متوحش لا مكان فيه للضعفاء، ونطمح إلى بناء دولة يجب أن تصمد نواتها الأولى أمام هجوم الدول الراسخة في القوة، ثم تقوى هذه النواة وتتمدد لتحتوي حدودها جميع بلاد المسلمين، ثم تقوى وتتمدد لتحكم العالم أجمع بالإسلام.. لأجل ذلك رأينا أن نفتح هنا نافذة نطلّ منها على مبدأ سياسة القوة ونظريات منظّريه الغربيين، لنقف على أساليب تفكيرهم، وأسباب انطلاقهم من وجهات نظر مختلفة في الأداة الأهمّ الواجب استخدامها لأجل حكم العالم.

وكنا قد عرضنا في العدد السابق عنوانين في الموضوع، وهما:

١- مفهوم سياسة القوة ٢- المفهوم السياسي للقوة البحرية - الاستراتيجية البحرية.

وسنعرض في هذا العدد:

ثم قامت الدولة الإسلامية وتوسعت على أساس قاري حتى وصلت حدودها إلى فرنسا والصين، إلا أن جبال طوروس صعبة المسالك شكلت عائقاً طبيعياً أمام تقدم القوات الإسلامية باتجاه البيزنطيين، مما اضطر المسلمين زمن بني أمية والعباس لركوب البحر، لبسط السيطرة على جزر المتوسط وصولاً إلى القسطنطينية. ومن ثم نشأت إمبراطورية المغول الذين انساحوا غرباً بمساعدة التضاريس السهلة ومعرفتهم بالأوضاع الداخلية للدول الأخرى،

٣- المفهوم السياسي للقوة البرية - الاستراتيجية البرية:

كان البر منذ البداية هو المسرح لتنافسات وخصومات المجتمعات البشرية من أجل السيطرة على الأرض التي تمد هذه المجتمعات بمقومات البقاء؛ حيث تكوّنت دويلات المدن القارية التي راحت تتوسع على حساب بعضها كلما أتيح لها ذلك، مشكّلة أقدم الإمبراطوريات القارية المعروفة، كالبابلية والآشورية والفرعونية والفارسية.

الجغرافية، منطلقاً من الواقع التضريسي لسطح الكرة الأرضية المتمثل في كتلة واحدة متماسكة تحيط فيها البحار والمحيطات باليابسة إحاطة السوار بالمعصم.

فقد قسم ماكندر الأرض إلى ثلاث مناطق إقليمية كبرى: قلب الأرض، والهلال الداخلي، والهلال الخارجي. وعدّ كتلة العالم القديم بمثابة الجزيرة العالمية الأساسية، التي تقارب مساحتها ثلثي مساحة اليابسة، والبالغة نحو ١٤٩/ مليون كم^٢.

وبحسب ماكندر فإن قلب الأرض هو المنطقة الوسطى من الجزيرة العالمية، الممتدة من نهر الفولغا غرباً إلى شرق سيبيريا، والبالغة مساحتها ٢١/ مليون كم^٢. حيث تشمل السهل الروسي ومنغوليا مع غرب الصين وأفغانستان وبلاد فارس وبلوشستان باستثناء شريطها الساحلي. وهي منطقة حصينة يصعب غزوها؛ حيث تحدها من الجنوب تضاريس جبلية صعبة الاجتياز، ومن الشمال المحيط المتجمد بمناخه القاسي. أما الأنهار الثلاثة الكبيرة في الشرق (أوبي، نينسي، لينا) فتصب في المحيط القطبي؛ مما يجعلها صعبة الاستخدام في المواصلات المائية. وتحتوي هذه المنطقة نهر تاريم الداخلي، إضافة إلى نهر الفولغا الصالح للملاحة والذي يصب في بحر قزوين الداخلي؛ ولذلك تعد هذه المنطقة أفضل منطقة دفاع في العمق، وأمنع معقل لقوة البر.

ثم أضاف ماكندر إلى منطقة القلب جميع مساحة روسيا الأوروبية وشرق أوروبا حتى نهر

حتى وصلوا إلى غرب بلاد المجر حيث اعترضت جحافلهم تضاريس جبلية تكسوها الغابات مما لا يتوافق مع بيئتهم السهلية الصحراوية. وبعدها ضمت الخلافة العثمانية بلاداً واسعة في كل من قارتي آسيا وأوروبا، إلى أن قامت في أوروبا إمبراطورية نابليون الفرنسية ثم سقطت بالتحالف الأوروبي عليها.

وهكذا فإن الصراعات بين المجتمعات البشرية في معظمها كانت ذات طابع قاري، لأن احتلال الأرض والاستفادة من خيراتها وحكم الناس بشرائع الفاتحين هي أسباب هذه الصراعات، وكانت القوات البحرية على الأغلب رافداً للقوات البرية التي كانت هي الأساس في حسم المعركة والقضاء على العدو على اليابسة. وعندما تتوسع الدولة القارية إلى مناطق متباعدة وتشرف على شواطئ بحرية تجد نفسها ملزمة بركوب البحر للدفاع عن ممتلكاتها التي يمكن أن تهددها أساطيل بحرية لدولة قوية تعتمد على البحر في علاقاتها الاقتصادية مع العالم الخارجي. وكذلك فالدولة البحرية ملزمة ببناء قواعد عسكرية برية لها في البلاد المحتلة، لدعم قوتها البحرية بعامل استناد جغرافي بري في مناطق انتشارها، كي لا تنهار الدولة بمجرد سقوط عاصمتها.

ويعد البريطاني ماكندر من أكثر الجغرافيين قناعة بانتصار القوة البرية على القوة البحرية في المستقبل، والتاريخ البشري برأيه ما هو إلا صراع ما بين القوتين. وقد حاول وضع فرضية توضح ارتباط الأحداث السياسية الدولية بالعوامل

خارجي عبر أنهار الدانوب والراين والألب ودجلة والفرات والسند والغانج واليانجستي، وهي جميعها صالحة للملاحة. وتعد هذه المنطقة في نظر ماكندر هي منطقة الصدام بين القوى البرية والقوى البحرية.

وأما منطقة الهلال الخارجي فتشمل الأمريكيتين وأستراليا ونيوزيلندا والفليبين وإندونيسيا وماليزيا وبريطانيا واليابان وجميع جزر المحيط الهادي؛ حيث يفصل بين الهلالين الداخلي والخارجي بحار ومحيطات شاسعة.

وعندما لاحظ ماكندر صعود نجم الولايات المتحدة وانكفاء دول غرب أوروبا إلى الدرجة الثانية، اصطلح اسم «الحوض الأوسط» على منطقة حلف شمال الأطلسي، وعدّ منطقة الرايخ الألماني فاصلاً ما بين القلب الشمالي والحوض الأوسط؛ ولذلك لا بد من التحالف بينهما للقضاء على العسكرية الألمانية، وهذا ما تم فعلاً.

وخلص ماكندر من كل ما سبق إلى أن من يحكم شرق أوروبا - وهو الطريق إلى القلب - يسيطر على القلب، ومن يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم القديم، ومن يحكم الجزيرة العالمية يسيطر على العالم. وتوقع أثناء الحرب العالمية الثانية خروج الاتحاد السوفياتي منتصراً على ألمانيا، وذلك أهله لأن يصبح أقوى قوة برية، وصاحب أقوى مركز دفاعي في العالم من المنظور الاستراتيجي.

أما الانتقادات التي وجهت إلى نظرية ماكندر، فمنها أن القوى الناجحة في المستقبل

الألب في ألمانيا، مشتملاً على السهل الأوروبي الكبير بموارده الغنية. ثم وسعها لتشمل جميع أراضي الاتحاد السوفياتي باستثناء الشرق الأقصى. وبذلك تكون هذه المنطقة محصنة من جميع جهاتها ما عدا الجهة الغربية الممتدة من البحر الأسود إلى بحر البلطيق، التي أطلق عليها ماكندر اسم «الباب المفتوح»، حيث تنفتح على ألمانيا وغرب أوروبا. وبانضمام أوروبا الشرقية إلى حلف وارسو فيما بعد استطاع هذا القلب أن يسد الباب المفتوح عليه من الغرب، والذي يمكن أن يهاجم منه. لذلك رأى ماكندر ضرورة اتحاد روسيا وألمانيا لقيام دولة عالمية.

ولقد عد ماكندر منطقة جنوب الصحراء الأفريقية قلباً جنوبياً للأرض، حيث تجري فيها أنهار ذات تصريف خارجي، هي النيجر والكونغو والزامبيزي، الصالحة للملاحة في مجاريها العليا. ولأنها غير صالحة للملاحة في مجاريها الدنيا بسبب الشلالات فيعد هذا القلب صعب الغزو من جهة البحر. وتشكل بلاد العرب جسراً يصل بين قلبي الأرض عبر تضاريسها السهلية وأنهارها الطويلة، دجلة والفرات والنيل.

أما منطقة الهلال الداخلي التي تحتضن منطقة القلب الشمالي من الجنوب فتتمتع بتربة خصبة في معظمها، وتشرف على المحيطات الهادي والهندي والأطلسي، وتشمل مناطق جنوب وشرق وجنوب شرق آسيا والجزء الواقع من بلاد العرب جنوب غرب آسيا إضافة إلى منطقة غرب أوروبا. وهي منطقة ذات تصريف

التقنية اليابانية مع المواد الخام والطاقات البشرية والعمق الدفاعي للصين، مع اعتبار علاقة الجوار الجغرافي والتقارب السلافي المغولي بينهما، مما يهدد لقيام نواة قوة عظمى تشكل عامل جذب لشعوب شرق وجنوب شرق آسيا من المجموعة المغولية، وتسحب البساط من تحت الأقدام الأميركية في المنطقة، وتمنعها من التحكم منفردة بإدارة شؤون العالم، إن لم تقصها عن مركز الدولة الأولى.

أما الأميركي سبايكمان /١٨٩٣ - ١٩٤٣/ م، فقد قلل من أهمية القلب الروسي والدور الذي يمكن أن يلعبه في السياسات الدولية كمركز للمواصلات والحركة والفعاليات الاقتصادية الزراعية والصناعية، ومن ثم كمحور للقوة، ورأى أن السيطرة على أوراسيا ومن ثم على العالم تأتي من السيطرة على الأقطار المحيطة بالقلب الروسي، وهي الهلال الداخلي في نظرية ماكندر، والتي أسماها سبايكمان «الإطار الأرضي»، حيث تضم كامل أوروبا وجزيرة العرب مع الشام والعراق وتركيا وإيران، وصولاً إلى شرق وجنوب شرق آسيا.

وقسم سبايكمان الأرض بين روسيا كقوة برية وبريطانيا كقوة بحرية، واعتبر أن منطقة الإطار الأرضي ذات التربة الخصبة والتصريف المائي الخارجي هي منطقة التنافس والتصادم بين القوتين البرية والبحرية، وبذلك يتفق مع ماكندر. ونادى بضرورة أن توجه الولايات المتحدة سياستها المبنية على القوة باتجاه الإطار الأرضي، فمن يسيطر على الإطار الأرضي يسيطر

ستكون هي القوى التي تمتلك أعظم قاعدة علمية وصناعية متطورة، سواءً أكانت برية أم بحرية. وقد أسقط ماكندر من حسابه التطور السريع للقوة الجوية القادرة على ضرب أية نقطة في العالم، واحتمال تطوير أسلحة مستقبلية جديدة.

وانتقد بأنه ليس من المستبعد أن تبرز اليابان مستقبلاً كقوة بحرية لموقعها الجُزري المشابه لموقع بريطانيا. ولكن مع تغير الظروف الدولية بات ذلك مستبعداً فعلاً. فالـيابان اليوم مكبلت بقوتين كبيرتين مجاورتين لا طاقة لها على مجاراتهما عسكرياً، هما روسيا والصين، وذلك لصغر مساحتها ونُدرة مواردها الاقتصادية من المواد الخام، وهذه نقطة ضعف تجعل من اليابان قوة محدودة حتى وإن امتلكت ناصية العلم والتقنية الصناعية. فأى خطر على استمرار توريد المواد الأولية سيهلك صناعتها ويسقطها. فأمام اليابان اليوم ثلاثة احتمالات:

١. التبعية للولايات المتحدة بصورة تحالف معها؛ ما يجعلها بمثابة الخاصرة الضعيفة لروسيا والصين ورأس حربة أميركية ضدهما، وهذا يجعلها ورقة بيد أميركا يمكن أن تتخلى عنها لأعدائها الروس والصينيين في أية مساومة مستقبلية، ويكون عملها بذلك خدمة لأميركا أكثر من خدمتها لنفسها ومصالح شعبها.

٢. البقاء على الحياد في خضم المنافسة الأميركية - الروسية والأميركية - الصينية في شرق القارة الآسيوية.

٣. التحالف الاستراتيجي مع الصين، بمزج

والتتار. وقال إن قوة الإمبراطورية العالمية لا تكمن في القلب، بل في أراضي شرق أوروبا الأهلة بالسكان، ومع ذلك فإن اتحاد القلب مع شرق أوروبا فقط لن تكون له تلك القوة الاستراتيجية كما توقع ماكندر، بل دعا إلى اتحاد القلب مع كل أوروبا لأنها توفر الموارد الطبيعية والبشرية التي تمكنه من السيطرة على الأقاليم الهامشية من العالم، وعندها فمن يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم.

لكن ويغرت ورغم اعتباره أن نظرية مركز القوة الأرضية - القلب هي في عصره (سنة ١٩٤٩م) أقوى من أي وقت مضى، إلا أنه اعتبر أن ماكندر قلل من أهمية الولايات المتحدة، ونظر إليها على أنها شبه معزولة عن العالم كما أراد لها هو ذلك عندما وضعها في منطقة الهلال الخارجي، لكنها الآن متصلة بمنطقة القلب بوساطة شمالي المحيط الأطلسي والمحيط المتجمد الشمالي. وتوقع أن تطور سكان الهلال الداخلي كمًا ونوعًا، وبخاصة في الصين والهند، سيضعف القلب الروسي والدول الغربية، وسيؤثر في العلاقات الدولية القائمة بين القلب والهوامش، وسيجعل القلب كالقائم على قاعدة من الرمل. واعتبر أن ماكندر في محاولته لإيجاد علاقة ثابتة لتوازن القوى في العالم قائمة بين القلب وبقية الأقطار أغفل احتمال ظهور محاور أخرى يمكن أن تحدث خللاً في موازين القوى، كالقوة الأمريكية التي كانت آخذة في الصعود وقتها.

[يتبع]

على أوراسيا، ومن يسيطر على أوراسيا يسيطر على العالم، حيث تم اتباع رأيه في ذلك من قبل السياسيين الأميركيين.

وقال إن السيطرة على أوروبا تتم من خلال التعاون بين القوات البرية لروسيا والقوات البحرية لبريطانيا والولايات المتحدة، وإن قوة روسيا سوف تبقى محصورة في إقليمها غرب جبال الأورال؛ لأنه غني برواسب الحديد والنفط والقدرة المائية والإمكانات الزراعية.

وقسم سبايكمان العالم إلى قسمين: غربي يضم الأمريكيتين، وشرقي يضم العالم القديم وجزر المحيط الهادي الكبرى، ورأى أن القسم الشرقي يطوق القسم الغربي، ومساحة الأول تزيد مرتين ونصف على مساحة الثاني، وعدد سكانه يبلغ عشرة أضعاف عدد سكانه، وأن إنتاجه من الفحم والحديد يزيد على ثلثي الإنتاج العالمي حسب معطيات سنة ١٩٣٧م، وبناء عليه فقد نصح الولايات المتحدة بالوقوف ضد أي تقارب روسي - أوروبي.

وأما فوست فقد وافق على أن من يسيطر على شرق أوروبا يسيطر على منطقة القلب، حيث تسيطر روسيا على هذه المنطقة منذ القرن السادس عشر انطلاقاً من قاعدتها في شرق أوروبا. ثم اعتبر أن من المبالغة القول بأن من يحكم القلب يسيطر على العالم، فلا تملك منطقة القلب من أسباب القوة ما يكفي للسيطرة على الإطار الأرضي، وهي لم تسيطر عليه سابقاً رغم العديد من الغزوات التي خرجت منها باتجاه الأطراف، كغزوات المغول

الهجرة النبوية

المهندس عبد اللطيف الشامي

في الذكرى الماضية لهجرة رسول الله ﷺ، سمعت العجب، وممن؟ من أناس يخاطبون الأمة من على منبر رسول الله ﷺ، ومن كثير من المسلمين، ومن كثير من العلمانيين، تفننوا جميعًا في طمس الحقيقة التي تسطع مثل ضوء الشمس المبهر، وكنت أتساءل: لم يفعلون ذلك؟ وما هي دوافعهم؟.

ففي خطبة الجمعة التي رافقت الذكرى، وقف الخطيب واعظًا مستنتجًا أن أهم ما يمكن للأمة أن تستفيده من دروس الهجرة هو هجر المعاصي والعودة لله. فالهجرة اليوم تعني عنده هجر المعاصي من فجور وخمور وهو يتحدث لمصلين... وآخر تذكره الهجرة الشريفة بمعجزة رسول الله ﷺ مع سراقبة بن مالك حين غاصت قوائم جواده في الصخر الصلد... وآخر يستذكر قدرة الله تعالى في التعمية على تحركات رسوله في طريق هجرته، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ويسرد لك نسجًا لعنكبوت وبيضًا لحمامة وغار... وآخر يستذكر لحنا لرامي في طلع البدر علينا... أما المتذاكي منهم فقد قال: لقد فرّ بدينه... والحديث يطول ويطول

هذا هو هدف الإسلام الذي تتحقق به غاية الإسلام الأسمى ألا وهي عبادة الله، وهذا ما سعى إليه رسولنا الكريم ﷺ طيلة فترة ما قبل هجرته، وهو ما حققه حين هاجر، محققًا به فرض ربه، وما كان ذلك منه إلا امتثالًا لأمر ربه. حدّث علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما أورد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري فقال: «لما أمر الله نبيّه أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكرٍ إلى منى، حتى دَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ، وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ نَسَابَةً فَقَالَ: مَنْ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا...». إذًا، فهو أمر من الله سبحانه لقوله: «لما أمر الله نبيّه» وليس اجتهدًا من قبله ﷺ

ولكن ألا نرى جميعًا أننا بلغنا منزلة كبيرة من التغييب، وكأنه تغييب متعمد! قال تعالى في سورة النساء الآية ١٠٥ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾. فسبحانه يبيّن لنا العلة من إنزال القرآن على رسوله ﷺ وهي: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ فغاية وسمام وذروة الأمر هو الحكم بين الناس بما أَرَاَنَا الله سبحانه من أحكام شرعية في كتابه الكريم، نعم، هذه هي ذروة الإسلام وسمامه أن تكون للإسلام دولة تطبق أحكام الله على كل البشر من رعاياها، مسلمين وكفار، فجميعهم من ﴿النَّاسِ﴾.



- واكتفى بخمسة أو ستة محاولات لم تجد، ولحاول أسلوبًا آخر يوصله لإقامة دولته، ولكنه ظل مواظبًا على فعله إلى أن قيَّض له ربه أنصاره من الأوس والخزرج، رضوان ربي عليهم أجمعين. كان الرسول ﷺ يصب اهتمامه على استبيان الجوانب الأمنية والاستراتيجية والجغرافية للقبيلة وعلاقاتها وواقعها، فكان يسأل ﷺ عن المنعة والقوة فيها وعن معاهداتها، بعد أن يعرض عليها الإسلام، وقبل أن يطلب منها النصرة، ففوة ومنعة وعلاقات القبيلة التي ستحمي الدولة الفتية الناشئة، شيء مهم لا بد من معرفته؛ لأنها القبيلة التي ستواجه كل قوى الشر والباطل في الأرض، فلا بد من أن تكون أهلاً لهذا الدور من الاستعداد المعنوي والمادي الذي يهرب الأعداء، ويحمي حمى الدولة والدعوة، ويتحمل تبعات توسعها وانتشارها، ويزيل كل العقبات التي تقف في طريقها.

ويدلنا على ذلك طريقة المباحثات التي اتبعها مع بني شيبان مثلاً، نذكر جانباً منه لما فيه من دروس هامة لنا حين نتقيد بطريقة رسول الله ﷺ ونحذو حذوه في استعادة مجد الأمة. ففي حديث علي بن أبي طالب سابق الذكر أعلاه، قال: «... ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غرر الناس. وفيهم مفروق قد غلبهم لساناً وجمالاً،

إذ لا يجوز بحقه أن يكون مجتهداً - ولكي لا يقال بأن هذا ما كانت تقتضيه ظروف الدعوة آنذاك. فالله أوحى إليه أن يعرض نفسه على قبائل العرب ليطلب حمايتها ونصرتها لإقامة دولة الإسلام، وبدأ ﷺ، فور تلقيه أمر ربه بالتحرك في المواسم التجارية، ومواسم الحج التي تجتمع فيها القبائل في مكة، وفق خطة سياسية دعوية محددة الأهداف، وكان يصاحبه في تحركه إضافة لعلي بن أبي طالب، أبو بكر الصديق رضي الله عنهما، الرجل الذي تخصص في معرفة أنساب العرب وتاريخها، كان يقصد غرر الناس ووجوه القبائل، فيبدأ أبو بكر بسؤال وجوه القبائل ويقول لهم: كيف العدد فيكم؟ وكيف المنعة فيكم؟ وكيف الحرب فيكم؟ وذلك قبل أن يتحدث رسول الله ﷺ ويعرض دعوته.

وتذكر لنا كتب السيرة الشريفة أسماء القبائل التي دعاها ﷺ للإسلام، ثم طلب منها النصرة لإقامة دولة الإسلام، وهي: كندة، وبنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وشيبان بن ثعلبة بن عكابة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة، وبكر بن وائل، وقيس بن الخطيم، والخزرج.

ويدلنا هذا العدد الغفير من القبائل التي قابلها ﷺ، على أن الأمر الذي واظب عليه ست عشرة مرة، هو طريقة شرعية لا يجوز لنا الحياد عنها إلى غيرها، فهي أمر من الله، وليست أسلوباً من الأساليب، وإلا لكف عنه

سمعت مقاتلك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له ولا آخر، لذل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، وأن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى، وهو أسلم بعد ذلك: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة، في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إما نزلنا بين صَرَيْن، أحدهما اليمامة، والآخر السَّمامة. فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذان الصريان». قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وإنا إما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، أن لا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرَكَ مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلًا حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟». فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك».

فالنصرة التي طلبها منهم ﷺ لإقامة دولته لا تصح حين يكونون مرتبطين بمعاهدات دولية تتناقض مع الدعوة، ذلك لأن احتضانهم للدولة

وكانت له غديرتان تسقطان على تربيتيه، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لا نزيد على الألف، ولن تُغلب ألف من قلة. فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة، ويديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله ﷺ، فما هو ذا، فقال مفروق: إلام تدعونا يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد». فقال مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. فقال مفروق:

دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا، وصاحب ديننا. فقال هانئ: قد

ولو انتقلنا إلى سرد طريقة مباحثاته ﷺ مع أنصاره الذين قِيَّضهم له ربه؛ فقامت دولة الإسلام على أكتافهم وانتشرت من أكتافهم، لوجدنا أنها قد تمت على مدى ثلاثة أعوام، هي عام اللقاء الأول، وعام بيعة العقبة الأولى (بيعة النساء) وعام بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب) فقد كان اللقاء الأول بينه ﷺ وبين أنصاره بعد طوافه على خمسة عشر قبيلة، انتهت كلها بخيبات الأمل.

قال ابن إسحاق في تفصيل أحداث اللقاء الأول مع الأنصار:

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ، وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَهُ فِيهِ النَّفَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقْبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزَرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا.

فَحَدَّثَنِي عَاصِمٌ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ. قَالُوا: لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَنْتُمْ؟». قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزَرَجِ قَالَ: أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكْلَكُمْ؟. قَالُوا: بَلَى. فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ.

قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ، وَكَانُوا هُمْ أَهْلُ شَرِكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثًا الْآنَ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ نَتَّبِعُهُ، نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ. فَلَمَّا كَلَّمَ

والحالة هذه، يعرضها لخطر القضاء عليها من قبل الدول التي تربطهم بها معاهدات، والتي ستجد في الدولة الإسلامية خطرًا عليها يهدد مصالحها، فالنصرة المشروطة أو الجزئية لن تحقق الهدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حربًا ضد كسرى لو أراد مهاجمة دولة الإسلام الناشئة، وهذا واضح من ردهم.

كما سأورد بعضًا من طرائق المباحثات التي اتبعها ﷺ مع بني عامر، لما تتضمن من الدروس الشرعية:

لقد قامت تلك المفاوضات على دراسة وتخطيط، فالرسول وصاحبه أبو بكر كانا يعلمان أن بني عامر قبيلة مقاتلة، كبيرة العدد وعزيزة الجانب، لم تتبع لملك ولم تؤدِّ إتاوة، مثلها مثل قريش وخزاعة، بدأ رسول الله ﷺ الكلام فدعا إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بَيْحَرَة بن فِرَاس والله لو أني أخذت هذا الفتى لأكلت به العرب، ثم قال له: أرايت إن نحن بابعنك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء». فقال له: أَقْنُهُدُ نَحُونَا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك. وهنا رفض ﷺ أن يعطي لأهل نصرته أي ضمانات، كأن يكون لهم الحكم والسلطان من بعده كثنمن أو مكافأة لما يقدمون من نصره؛ ذلك لأن دولة الإسلام إنما هي دولة للمسلمين سواسية، والشرط الأساسي فيمن ينصرها أن يكون إخلاصه لله وحده، لا لمطامع شخصية من نفوذ وسلطان.

هَذَا الْبَلَدَ عَامِنًا إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَبَعْدَهَا قُتِمَ
إِجْرَاءَاتُ بَيْعَةِ الْعُقْبَةِ الْأُولَى.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي
حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِيِّ، عَنْ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ عَسِيلَةَ الصَّنَابِحِيِّ، عَنْ عَبَادَةَ، وَهُوَ
ابْنُ الصَّامِتِ، قَالَ: كُنْتُ مِمَّنْ حَضَرَ الْعُقْبَةَ
الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا: فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَفْتَرِضَ
الْحَرْبُ، عَلَى أَلَّا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تُسْرِقَ وَلَا
تَزْنِيَ وَلَا تَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِيَهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ
بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ. فَإِنْ
وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا
فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.

تَرِثُ بِهِمْ ﷺ لِمَوْعِدٍ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ
أَيْضًا، كَيْفَ لَا وَهُمْ قَوْمٌ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ،
لَا يَعْرِفُونَ مِنْهُ إِلَّا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ) وَالْقَلِيلُ مِمَّا سَمِعُوا، فَكَانَ لِابِدٍ مِنْ أَنْ
يُرْسَلَ مَعَهُمْ مَنْ يَعْلَمُهُمْ أُمُورَ دِينِهِمْ وَيُرْسِخُ
عَقِيدَتَهُ فِي نَفْسِهِمْ، مَعَ الْأَخْذِ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ مَا
هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَرْبِ وَالتَّنَاحُرِ، وَمَا كَانَتْ حَرْبُ
حَطَابٍ وَلَا حَرْبُ دَاخِسٍ وَالْغَبَاءِ وَلَا يَوْمُ بَعَاثٍ
مِنْهُمْ بِبَعِيدٍ، حَيْثُ هَلَكَ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ رُؤُوسُ
الشَّرِكِ وَالنِّفَاقِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَبَابُ
الْقَوْمِ الْيَافِعِينَ، وَكَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَهَيِّئَ
لِرَسُولِهِ ذَلِكَ الْحَيِّ الَّذِي سَتَبْدَأُ فِيهِ نَشْأَةَ دَوْلَةِ
الْإِسْلَامِ الْفَتِيَّةِ، كَمَا قَالَتْ أَمْنَا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، بِحَقِّ يَوْمِ بَعَاثٍ وَفَقَى مَا
أُورِدَ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: «كَانَ يَوْمٌ بَعَاثٌ يَوْمًا
قَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ»، فَكَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْمُؤَالَفَةِ بَيْنَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُولَئِكَ النَّفَرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ،
قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمَ، تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ إِنَّهُ
النَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ.
فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا
مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ
تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ
مَا بَيْنَهُمْ، وَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَسَنَقْدِمُ
عَلَيْهِمْ فَتَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي
أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ
عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ. ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ
إِلَى بِلَادِهِمْ قَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا وَوَاعَدُوا الْإِقَاءَ
فِي الْعَامِ الْقَابِلِ، غَادَرُوهُ مَمْلُوءِينَ بِالْفِكْرَةِ،
فَبَلَّغُوهَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ إِلَى
قَوْمِهِمْ ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَدَعَوْهُمْ إِلَى
الْإِسْلَامِ، حَتَّى فُشِيَ فِيهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ
الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَلَمَّا كَانَ الْمَوْعِدُ الْمَضْرُوبُ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ
وَافَى مَوْعِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا،
عَشْرَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَاثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ، شَهِدُوا
مَوْسِمَ الْحَجِّ عَامِئذٍ، ثُمَّ لَقَوْهُ ﷺ عَلَى مَوْعِدِهِ
بِالْعُقْبَةِ، فَبَايَعُوهُ عِنْدَهَا بِبَيْعَةِ الْعُقْبَةِ الْأُولَى
(الَّتِي سَمِيَتْ فِيمَا بَعْدَ بَيْعَةِ النِّسَاءِ لِأَنَّهَا كَانَتْ
مُتَوَافِقَةً مَعَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَيْعَةُ النِّسَاءِ عَامِ
الْحَدِيثِيَّةِ)

قَابَلُوهُ بِشَوْقٍ وَتَلْهَفٍ، وَقَابَلَهُمْ بِصَدْرِهِ
الْوَاسِعِ وَخَلْقِهِ الْعَظِيمِ، وَقَلْبِهِ مُتَعَلِّقٍ بِرَبِّهِ أَنْ
يُنْجِزَ لَهُ وَعْدَهُ، قَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ
مِنْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ

خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ الشَّارِقِ، فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الْحَجِّ وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهَا، وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ جَابِرٌ، سِيدٌ مِنْ سَادَتِنَا أَخَذَنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَرْنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا. ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّانَا الْعَقَبَةَ. قَالَ: فَاسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ وَكَانَ نَقِيبًا.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَتَسَلَّلُ تَتَسَلَّلُ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ ابْنَةُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَابِي إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلَمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ تَنَتَّظَرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَقَّعَ لَهُ.

فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ - قَالَ: وَكَانَتِ الْعَرَبُ إِثْمًا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزَرَجِ، خَزَرَجَهَا وَأَوْسَهَا - إِنْ مُحَمَّدًا مَنَا حَيْثُ

الأوس والخزرج ومؤاخاتهم بأخوة العقيدة؛ بحيث يضمن ﷺ وحدة الصف بين مناصريه لتشكل القوة الحقيقية القادرة على نصرة دولة الإسلام التي ستغيّر مفاهيم الكفر في مجتمعها إلى مفاهيم العقيدة الإسلامية، والتي ستحكم بأحكام جديدة وغريبة عما اعتادته مجتمعات الكفر، ألا وهي الأحكام الشرعية التي أنزلها سبحانه على رسوله ليحكم بين الناس بما أراه الله، فهم وإن كانوا جميعًا قد قاموا لهدف واحد، إلا أنه يجب توحيد قواهم، فلا الأوس وحدهم قوة كافية يطلب منها النصرة، ولا الخزرج وحدهم، بل الأوس والخزرج معًا، وهذا درس من دروس النبوة، ولا بد لنا من فهمه وتطبيقه؛ فلذلك كله أرسل معهم مصعب بن عمير (مصعب الخير) موفدًا عنه، بعد أن أوكل إليه القيام بكل ما تقدم أعلاه.

فما مضى عام على وجود مصعب الخير في يثرب يدعو إلى الإسلام، ويؤاخي بين الأوس والخزرج، ويوحد قوى النصرة، ويبين للقوم دورهم ومهمتهم القادمة، ويقيم فيهم الجمعة، إلا استدعاه ﷺ يتبين منه صورة الرأي العام في يثرب حول الإسلام ودولته القادمة المرتقبة، فبشره مصعب الخير بأن الإسلام قد عم معظم بيوت القوم، وأن القوم ها هم على إثره للقاء الموعود، عازمين على المضي لما اختارهم له ربهم. فاطمأن ﷺ وانتظر الموعود، ليكون اللقاء ولتكون إجراءات بيعة العقبة الثانية أو (بيعة الحرب).

قال ابن اسحاق : قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: ثُمَّ

الأوس.

وَحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ يُشِيرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْ يَجْعَلُهُ نَقِيبًا لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَكَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ أَحَدَ النَّقَبَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلنُّقَبَاءِ: «أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كَفَالَةٌ الْخَوَارِئِ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي». قَالُوا: نَعَمْ.

وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا اجْتَمَعُوا لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ الْأَنْصَارِيُّ أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ هَلْ تَذَرُونَ عَلَامَ تَبَايَعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّكُمْ تَبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا أَنْهَكَ أَمْوَالُكُمْ مُصِيبَةً وَأَشْرَافَكُمْ قَتَلًا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنَ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهِ إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ عَلَى نَهْكَ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ فَخُذُوهُ، فَهُوَ وَاللَّهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهِ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ». قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ.

وَقَدْ رَوَى يُونُسُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي عَبْدَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الْحَرْبِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي

قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْحِيَارَ إِلَيْكُمْ وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاضَلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزَّةٍ وَمَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ.

قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ. قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا الْقُرْآنَ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا مَنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ». قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ يَدَيْهِ وَقَالَ: نَعَمْ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لِنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا مَنَعَ مِنْهُ أُرْزَنَا، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَتَحَنُّنٌ وَاللَّهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ وَرِثَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلُ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا وَإِنَّا قَاطِعُوهَا، يَعْنِي الْيَهُودَ، فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «بَلِ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَذْمُ الْهَذْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ»

قَالَ كَعْبٌ: وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْرِجُوا إِلَى مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا، يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ». فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا، تَسْعَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ

وجوده بوجود دولة الإسلام.

وفي وقفة مع مجريات الأمور التي سبقت، نجد أن الأنصار قد فهموا بشكل لا يرقى إليه شك أن النبي ﷺ هو من سيكون الأمر الناهي في دولة المدينة، وأن نظام الحكم الذي يبتغي إقامته له متطلبات وعليه التزامات تتعارض مع ما كان سائداً من عادات وأعراف ومواثيق، نعم لقد أدرك الأنصار أن تلك البيعة تقتضي وضع كافة إمكانياتهم ومقدراتهم بإمرة النبي ﷺ، وأن الأمر كله رهن بما سيشكله من نظام إسلامي يحل مكان الأنظمة القبلية السائدة، لذلك فقد فكر الأنصار ملياً قبل أن ينجزوا البيعة وفق ما قاله أبو الهيثم بن التيهان، وفيه إشارة واضحة على استعدادهم لتقبل النظام الجديد، وما سيبنى عليه من فسخ اتفاقاتهم السابقة مع عبد الله بن أبي بن أبي سلول الذي كان اتفق على تتويجه ملكاً على المدينة، وكذلك دخول علاقاتهم مع قبائل يهود المحيطة بالمدينة طوراً جديداً يخضع للنظام الجديد كما حصل بعد ذلك. وبمجرد أن وصل النبي الكريم أبواب المدينة استقبله مئات من الأنصار المسلحين قائلين له، وكان معه أبو بكر الصديق «ادخلا آمنين مطاعين». هذه هي صورة الهجرة، وليس حصرها بـ «طلع البدر علينا»، وهذه هي المعاني التي يجب أن ندركها من الهجرة النبوية الشريفة، وهذه هي الطريق التي يجب أن نسلوها لاستعادة أمجادنا ■

عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا أثره عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيُّنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا ئِم. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْقُضُوا إِلَى رَحَالِكُمْ»... قَالَ: فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْلَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ شِئْتَ لَتَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مَنْى غَدًا بِأَسْيَافِنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رَحَالِكُمْ». قَالَ: فَرَجَعْنَا إِلَى مَضَاجِعِنَا فَبِمَا فِيهَا حَتَّى أَصْبَحْنَا. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَجَعَ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِهَا. وَفِي قَوْمِهِمْ بَقَايَا مِنْ شَيْوْخٍ لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ مِنَ الشَّرْكِ

ثم صدر أمر رسول الله ﷺ لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة المنورة، ومن بعدها كانت هجرته ﷺ مع أبي بكر رضوان ربي عليه، فكان ما تذكره الناس من نومة علي بن أبي طالب في فراش رسول الله ﷺ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩١﴾ وكان سراقه، وكان العنكبوت وبيض الحمامة والغار، وطلع البدر علينا، وبعد هذا الاقتباس من نصوص السيرة، هل يصح أن يفهم من الهجرة أن الرسول ﷺ قد فر بدينه، أم هي من الأعمال التي أقام بها الدولة التي تحمي بيضة الإسلام؛ حيث إنه بدأ من فوره تطبيق أحكام الشرع بين الناس بكل ما فيها، من تشكيل لجهاز الحكم، وتجهيش الجيوش ليحكم الأرض بما أراه الله، وليقيم كل حكم من أحكام الإسلام تعلق



نداء حار إلى المسلمين في ذكرى الهجرة النبوية، ذكرى إقامة الدولة الإسلامية

نصرة ارتبطت في حياة المسلمين بالهجرة، وهجرة ارتبطت بإقامة الدولة الإسلامية... وأعوام هجرية تترا، كلما هلَّ عام يذكّر المسلمين بتلك الذكرى، وقد مضى على هدم الخلافة الإسلامية زهاء قرن من الزمان.

قرن من الزمان أيها المسلمون، ونحن هَلَكَةٌ ليس لنا قدر ولا شأن، كانت بلادنا مستباحة يصل فيها الكفار طولاً وعرضاً، لا يرد عاديتهم عنا ققعاق ولا بايزيد، دماؤنا مسفوكة تخضبت بها الثرى لا تجد من يحقنها، أعراضنا منتهكة حالها كالتى لا ترد يد لامس، لا تجد مُلبياً يُلبي صرخات الحرائر ربات الحجال، مقدساتنا مغتصبة مُدنسة تشكو إلى الله حالها ومآلها.

مُضَيَّعَةٌ مُدَوَّنَةٌ في الكتب والمصنفات، في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والمستدركات!
قُرْأْنَا وَرَقٌّ مُعَلَّقٌ هُجْرًا
وَالسَّنَّةُ سَنَدٌ مَقْطُوعَةٌ بَرًّا
حَدٌّ بِلَا سَيْفٍ يَا لَيْتَهُ حَدٌّ
حُكْمٌ بِلَا حُكْمٍ طَاغٍ عَدَا فَجْرًا
حُكَّامُنَا وَلَغَوَا فِي الظلم قَدْ فسقوا
يَا رَبَّنَا خُذْهُمْ أَخَذًا فَلَا تَذَرَا

في خِصَمِّ هذه المعاناة، ومن عمق هذا الظلام الكالح، نستشرف من عبق الهجرة النبوية الشريفة قادمًا من الأيام نرنو إليها. المسلمون مقهورون؟ نعم. مغلوبون؟ نعم. مستضعفون؟ أيضًا نعم، وألف نعم. ولكن هذا الوضع الطارئ علينا يجب أن يرحل حتى يصير في طي النسيان، يجب أن يُدفن حيث دَفَنَ بلال بن رباح - رضي الله عنه - عبوديته، فصار سيّدًا من سادة الأمة، يقتل أمية بن خلف بيديه، من بعد أن كان أمية يطرحه على الرمال ويعذبه أشد العذاب. لا بد من نفس قرنٍ من

عامٍ هجريٍّ جديد أيها المسلمون، وحكام المسلمين يتبجحون على الله بتعطيل شرعه، وهم بالكفر يحكمون. والكفر البواح يظهر، وعلى رؤوس الأشهاد به يتباهون. يوالون أعداء الله : أميركا وروسيا وأوروبا ويهود والهندوس... ويعادون شعوبهم كأشد ما تكون العداوة والبغضاء، وكذلك يفعلون. قد مَرَقْنَا مُزَقًّا ونحن أمة الجسد الواحد، وفَرَقْنَا فِرَقًّا ونحن خير أمة أخرجت للناس! ألا ساء ما يحكمون، ألا بُعْدًا لهم من صبيان سفهاء رويضات، وتبًّا لهم من أقزام ليسوا منا ولسنا منهم، كفرنا بهم، وبدا بيننا وبينهم العداوة والبغضاء أبدًا حتى يرجعوا عن غِيَّهم، وما هم براجعين!

مُحَرَّمٌ آخر أيها المسلمون، أهْلُ هَلَالُهُ علينا، ونحن محرومون من بركة الوحي، بركة الحكم بما أنزل الله... قُرْأْنَا مُعْطَلَّةً أَحكامه، مُغَيَّيَّةً حدوده، لا يجد خليفةً يَتَعَهَّدُهُ، ولا سلطانًا يُنْفِذُهُ، إلا بقيةً من تحبيرٍ في المحراب، أو ترتيلٍ خلف الباب... سنة نبينا محمد ﷺ حروفٌ

فمهما يكن من أمر، هذا أبو جهل يعربد، يقتل آل ياسر، يؤذي رسول الله ﷺ أشد الأذى، يستصدر قرار الصحيفة، قرار مقاطعة المسلمين في شعاب الجبال، يُهدد ويتوعد، وكفار قريش كذلك يفعلون.

هكذا بلغ الصراع مبلغه، تحجّر المجتمع المكي أمام الدعوة، أقفلت قلوب عليه القوم عن أن تنشرح للإيمان. إذاً لا بد من مجتمع آخر يحتضن الدعوة إيماناً بها ونصرة لها، فتمكّن في دولة تحكم بالإسلام دين الله العظيم. قصد رسول الله ﷺ الطائف يلتمس نصرة أهلها؛ فكان الرد كاسوأ ما يكون، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يرجع رسول الله ﷺ إلى مكة وهو يقول لزيد بن حارثة مُتَبَنَّا: «إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً».

نعم، وحقاً يا حبيبي، يا رسول الله، إن الله جاعل لأمرك فرجاً ومخرجاً، وقد جعل، وبعد إصرار ومثابرة على طلب النصرة، والبحث عن قوة تحتضن دعوة الله، وبعد جولات جالها نبئ المرحمة، ونبي الملحمة، طلب فيها النصرة مراراً ومراراً، وبعد أن عرضت بنو عامر بن صعصعة على رسول الله - عليه الصلاة والسلام - نصرة مشروطةً أباهما، وعرضت بكر بن وائل بني شيبان نصرةً أخرى منقوصة لم يقبلها، ساق الله تبارك وتعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ نصرة الأنصار - رضوان الله عليهم - وتم أمرها، فكانت الهجرة مباركة إلى المدينة المنورة عقر دار الإسلام، ومأوى دولته.

أيها المسلمون، لم يهاجر رسول الله ﷺ من بلده مكة لاجئاً سياسياً، فاحتفى بجمي الأوس والخزرج ليصرف عنه أذى قريش، وإما هاجر واستقبله الأنصار - رضوان الله عليهم -

الذل والتبعية والاستضعاف كما نسف رسول الله ﷺ أصنام الضلال، ونسف معها تاريخاً من الجاهلية والفرقة القبلية المتناحرة، فجعل من هذه القبائل أمةً، هي خير أمةٍ أخرجت للناس، تغزو الروم وفارس وتنتصر عليهم.

رسول الله محمد ﷺ يبعثه الله على فترة من الرسل، فيوحي إليه وحياً ناسخاً لكل الشرائع ومهيماً عليها، ينطلق بدعوته من مكة المكرمة نقطة الانطلاق، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولا ند له، ولا نظير له. سبحانه، سبحانه، سبحانه، في عليائه، فيؤمن به من يؤمن - وقليل ما هم - ويكفر به من يكفر - وكثير ما هم - فيحتدم الصراع ويتفجر الكفاح حتى بلغ الأمر مبلغاً ضيقاً حرجاً، حيث لا تلاقي بين الحق دين الله تعالى، والباطل دين قريش موروث الضلال. وسنة الله سبحانه ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، الباطل يستضعف الحق وأهله، وينكّل بهم قتلاً وحصاراً وتشريداً، والحق قدمه راسخة تآبى أن تتزحزح، وآلئ لها أن تتزحزح؟! والله وليها، نعم المولى ونعم النصير: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ۚ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۚ ۝﴾.

نعم لا تلاقي بين الحق والباطل، وكيف يتلاقيان؟! هذا دين الله تعالى أوحى به على نبيه ﷺ وذاك دين صنعته أوهام الضلال، وقد خيل لها أن حجرة لا يقوى على أن يهش ذبابة عن أنفه، قادر على أن ينفع أو يضر! إذاً لا تلاقي ولا حلول وسطية، إما أن يظهر الحق على الباطل - وهو كائن لا محالة - وإما أن يظهر الباطل على الحق - وهذا لن يكون - ولكن الحق لا يملك قوة تحميه أو دولة تؤويه،

وضياع، ذُلَّةٌ وهوان. هأنتم ترون الكافر المستعمر كيف يصول ويجول في بلادكم طولاً وعرضاً، وتشاهدون بأَمِ أعينكم كيف أن حكامكم يوالونهم ويعادونكم، فإلى متى تستجيرون بالذئاب من الكلاب، وتحتمون بالثعالب من المخالب؟ ظننتم بالقومية خيراً فأردتكم، ابتغيتم العزة عند العلمانية فأذلتكم، يَمَّمْتُمْ وجهكم شطرَ الغرب الكافر فَحَنَى رقابكم... ألا فعودوا إلى إسلامكم، ففيه طاعة ربكم، أعيدوا خلافتكم مبعث عزتكم، فلا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بطاعة، ولا طاعة إلا بإمارة.

أيها المسلمون، هاجروا من دار الكفر التي أنتم فيها تعيشون، وفي ظل طاغوتها تُحكمون، وبإمرة روبيضاتها راضون. إلى دار الإسلام خلافة المسلمين، دار القوة والمنعة والتمكين، اهجروا العلمانية وابذوها، اهجروا الوطنية وادفنها، اهجروا القومية واطرحوها، اقطعوا الحبال مع أميركا وروسيا وأوروبا ويهود، اعتصموا بحبل الله المتين، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». [رواه أبو داود].

أيتها الجيوش الرابضة في معسكراتها، يا أهل القوة والمنعة، القول قولكم، والفصل عندكم، انصروا دينكم وأمتكم، اخلعوا عنكم سربال الذل الذي ألبسكم إياه حكامكم، متى كانت وظيفة الجيوش حراسة الظالمين؟ متى كان السلاح للتكديس في الثكنات يعلوه الغبار ويغشاه الصدا؟ متى أغمد المسلمون السيوف في أغمادها؟ أم إنكم استمراكم الهوان حتى أَلَفَكُمُ وَالْفُتُمُوهُ؟ أين الصناديد المغاوير؟ أين

سيداً عزيزاً حاكماً مطاعاً، يأمر وينهى، وهم له سامعون مطيعون. جاء عند البخاري في صحيحه من طريق أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يَعْرِفُ، وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ لَا يَعْرِفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اضْرَعْهُ» فَضَرَعَهُ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تَحْمِجُهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مُرْنِي بِمَا شِئْتَ، قَالَ: «فَقِفْ مَكَانَكَ، لَا تَتَرَكَّنْ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا» قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا، وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ. فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَحَفُوا دُونَهُمَا بِالسَّلَاحِ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ ... »

قامت دولة الإسلام في المدينة المنورة، نعم الدولة ونعم بانوها، قامت عزيزةً أبيضَّةً على أعدائها عَصِيَّةً، دولة ذات سيادة كاملة السيادة، فحكمت بالإسلام، وجاهدت أعداء الله، حتى دانت العرب لدين الله طوعاً وكرهاً قبل أن تهدأ نفس النبي ﷺ.

يا أبناء خير أمة أخرجت للناس، لا يخفى عليكم ما آلت إليه أحوال المسلمين، فرقة

والثانية: رضوان من الله أكبر وأعظم، وجنة فردوس سقفاها عرش الرحمن، عَن ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ فَجَنَّا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا وَجَلِّهِمْ لَنَا. قَالَ: قَوْمٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ، تَصَادَقُوا فِي اللَّهِ وَتَحَابُّوا فِيهِ، يَضَعُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». [أخرجه الحاكم في المستدرك].

إِنَّ الهجرة النبوية حدثٌ عظيم، وليست ذكرى يجتمع فيها الحاكم وبطانته بطانة السوء، وزبانيته وأعوانه على الظلم، فيُتلى القرآن الكريم بين يدي الظالمين، وتُلقى الكلمات والأشعار والمدائح، ثم ينفُضُ السامر ويبيت المسلمون دامر. هذا الحدث العظيم يستأهل عملاً فيه اتباع وتأسُّ بطريقة الرسول ﷺ في العمل لإقامة دولة الخلافة. وهذا حزب التحرير داعي الخلافة، والعامِل لإقامتها، ماضٍ في عمله يدوس على الشوك، ويجتاز العقبات صابراً محتسباً لا يضره من خذله حتى يأذن الله بنصره، وقيام دولة الإسلام التي فيها حكمه.

اللهم استعملنا في طاعتك، وأكرمنا بإظهار دينك، وإقامة شرعك، ونشر دينك، وإدخال الناس في دين الله أفواجاً... اللهم أكرمنا بخلافة راشدة يعزُّ بها الإسلام وأهله، ويدُلُّ بها الكفر وأهله... إنك على كل شيء قدير ■

أصحاب النخوات أبناء الحرائر؟ الله الله في دينكم، الله الله في أمتكم، صاحت الحرائر، استغاثت المحصنات، هَلَّتِ البشائر، رَجَتْ المنابر، نادى منادي الجهاد: ﴿وَالْعَدِيدَاتِ ضُبْحًا ۝ فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُعِيرَاتِ ضُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝﴾.

يا جيوشاً كبلوها بالقيود
اكسروا قيد الطغاة بالحديد
رَمَجُوا واستنَفِرُوا في هِمَّةٍ
ثَارَ نَقْعُ الْحَرْبِ نَادَى بَايَزِيدَ
أَسْقَطُوا طَاعُوتَ بَغِي ظَالِمٍ
أَنْزَلُوهُمْ إِنَّهُمْ حَقًّا عَبِيدَ
سَلَسَلُوهُمْ صَفْدُوهُمْ كُلَّهُمْ
وَاجْمَعُوهُمْ وَاخْكُمُوا حُكْمًا سَدِيدَ

يا رجال الخلافة، أيها العاملون لإقامتها،
بُشْرَاكُمْ باثنتين:

الأولى: خلافة راشدة على منهاج النبوة. عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: «كُنَّا قُعودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكْفُ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَمْرَاءِ؟ وَكَانَ حُذَيْفَةُ قَاعِدًا مَعَ بَشِيرٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ فِي النَّبُوءَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِثْلِ النَّبُوءَةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ جَبَرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِثْلِ النَّبُوءَةِ، ثُمَّ سَكَتَ». [مسند أبي داود الطيالسي]

عامّة علماء المسلمين: حديث الآحاد لا يفيد الاعتقاد (١)

ابو عبيدة معاوية الحيجي

الحمد لله، والصلاة على سيدنا رسول الله، وبعد جمعت في هذه الوريقات أقوال علماء الأمة في مسألة كثر الكلام عنها (حديث الآحاد، وماذا يفيد: الظن أم اليقين؟) هذا هو أصل المسألة، ويتفرع عنها جملة مسائل، أشهرها وأكثرها تداولاً: هل يؤخذ حديث الآحاد في العقيدة أم لا؟

وعلى شهرة هذه المسألة وكثرة تداولها، تجد أن معظم الذين يتكلمون بها لا يفقهون معناها، فالذين يقولون بوجوب أخذ حديث الآحاد في العقيدة تراهم أنفسهم يقولون إن حديث الآحاد يفيد الظن، لكن يجب أخذه في العقيدة (وعلى رأسهم الألباني) وكلامهم هذا يدل على عدم إدراكهم أن معنى العقيدة هو الجزم واليقين، كما أنك تجد هذا الفريق ذاته يؤلف الكتب في الرد على من أنكر أخذ حديث الآحاد، وهذا أيضاً يدل على عدم فهمهم لكلام الفريق الثاني. فالفريق الثاني لا ينكر الحديث النبوي كما يتوهم الفريق الأول، وإنما يقولون إن حديث الآحاد لا يجوز رده، ولكنه يفيد الظن ولا يفيد الاعتقاد، وهو ذات قولهم لا يفيد اليقين، وذات قولهم لا يفيد العلم، وهذا الفريق الثاني يقول: «إن حديث الآحاد يفيد الظن؛ لذلك يجب تصديقه ولا يجوز رده، لكنه لا يفيد الاعتقاد أي لا يفيد اليقين» وهذا

الكلام واضح المعام كما ترى ولا إشكال في فهمه ووضوحه، لكن هناك من يفهم الكلام بالمقلوب، أو من يفهمه كما يحب أن يفهمه هو، وكما يحلو له وكما يشتهي، أو في أحسن أحواله كما يتوهمه فكره وعقله. على أنه والحق يقال إن هناك من القائلين إن حديث الآحاد لا يفيد الاعتقاد من لا يحسن التعبير عن فكرته ولا يجيد الإبانة عن رأيه؛ مما يسبب للعوام إشكاليات، أو يوحى إليهم عن غير قصد أنه لا يصدق كلام النبي عليه الصلاة والسلام؛ لذلك ننصح هؤلاء أن يطرحوا فكرتهم بشكل واضح لا لبس فيه وبشكل بسيط يفهمه الجميع؛ كي لا يظن أحد من الناس أن معنى عدم أخذ حديث الآحاد في الاعتقاد هو رد للحديث النبوي. فالأفضل أن تطرح هذه الفكرة على بساطتها ودون تعقيد. وأحب أن أقول إن السبب الذي دعاني إلى جمع أقوال العلماء أمران: أولهما أن هناك من زعم زوراً وبهتاناً أن السلف رأيهم وجوب

- أخذ حديث الآحاد في العقيدة، فجمعت هذه الأقوال ردًا على هذا الزعم، ولبيان أن أقوال السلف خلاف ما زعموا أنه قولهم، بل عامة أهل السلف وعلى رأسهم ابن تيمية يقولون إن حديث الآحاد يفيد الظن دون الاعتقاد. **وثانيهما** أن القائلين بوجوب أخذ حديث الآحاد في العقيدة يعتبرون كل من خالفهم في الرأي كافرًا أو فاسقًا، وإذا أراد التهذيب قال ليس من أهل السنة. وكأنهم هم وحدهم أهل السنة. أما من عداهم من جمهور أئمة المسلمين المعترين وجمهور علمائهم الكبار فهؤلاء مبتدعة حسب منهجهم.
- وقبل الشروع في نقل أقوال العلماء، أحب توضيح أمور لابد منها:
- ١- إن قول العلماء بعدم إفادة حديث الآحاد للاعتقاد لا يعني رد كلام النبي عليه الصلاة والسلام.
 - ٢- قول العلماء (لا يفيد العلم) هو ذات القول لا يفيد الاعتقاد، أي لا يفيد اليقين.
 - ٣- لم يقل أحد من العلماء إن حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام سوى القلة القليلة، وعلى رأسهم ابن حزم من الأقدمين والألباني من المعاصرين (وهو متناقض في قوله هذا كما ستراه في هذه النقول) وبالتالي فرأيهم شاذ مخالف لما عليه جمهرة علماء السلف، وجمهرة المفسرين، وجمهرة شراح كتب الحديث.
 - ٤- عامة العلماء الذين قالوا بوجوب أخذ
- حديث الآحاد في الاعتقاد يشترطون أن يحتفي بالقرائن، أي أن تجتمع معه قرينة تنقله إلى درجة اليقين، أي أنه بنفسه يفيد الظن ولا يفيد اليقين.
- ٥- اختلف العلماء في ماهية هذه القرينة، لكنهم اتفقوا على قرينة موافقة الحديث للقرآن وللمتواتر ولعموم الشريعة الإسلامية
- ٦- من العلماء من اعتبر تلقي الأمة بالقبول قرينة على اليقين وعلى رأسهم ابن تيمية وابن الصلاح، ومنهم من لم يعتبرها قرينة وعلى رأسهم الإمام النووي.
- ٧- جميع العلماء من السلف والخلف يقولون بوجوب العمل بحديث الآحاد عدا رأي شاذ للمعتزلة انه لا يجب العمل به.
- ٨- في كتب الذين يقولون بإفادة الآحاد للاعتقاد نجد نقولات كثيرة للعلماء تؤيد وجهة نظرهم، ولو دقت النظر في هذه النقول لرأيت أن هذه النقول في وادٍ ورأي هؤلاء في وادٍ آخر؛ ذلك أن عامة نقولاتهم عن العلماء أن حديث الآحاد يجب العمل به - وهذا مما لا خلاف فيه كما قدمنا - لكن هؤلاء ينقلونه على سبيل التأييد لفكرتهم، فهم يستدلون بأقوال العلماء بوجوب العمل على وجوب الاعتقاد، وهذا مرده إما التدليس، وإما سوء الفهم لأقوال العلماء.
- ٩- إن الشيخ ناصر الألباني، وهو من تبني القول بوجوب أخذ حديث الآحاد في العقيدة، هو نفسه يقول في مواضع أخرى بعكس قوله

هذا؛ وهذا من تناقضاته التي صار مشهوراً بها عند عامة طلاب العلم.

هذا وقد نقلت أقوال العلماء، وعزلت كل فئة منهم وحدها، فجعلت لكل فئة زمرة، فأولهم أهل التفسير، ثم شراح الحديث، ثم علماء مصطلح الحديث، ثم أصحاب أصول الفقه، ثم أقوال متفرقة للعلماء، والله الموفق لما فيه خير العباد والبلاد.

أقوال المفسرين

١- أحكام القرآن للجصاص (٢٧٩ / ٥) في تفسير آية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾: «وفي هذه الآية دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم، إذ لو كان يوجب العلم بحال لما احتيج فيه إلى الثبوت. ومن الناس من يحتج به في جواز قبول خبر الواحد العدل، ويجعل تخصيصه الفاسق بالثبوت في خبره دليلاً على أن الثبوت في خبر العدل غير جائز، وهذا غلط؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على أن ما عداه فحكمه بخلافه».

٢- الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢ / ١٦) للقرطبي: «وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد».

٣- تفسير النيسابوري (٩٣ / ٢): ﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ﴾ لم يحصل العلم بذلك النبي وبأولئك الملاً من الخبر المتواتر، وخبر الواحد لا يفيد إلا الظن».

٤- تفسير القشيري (٤٧٨/٥): ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وفي

هذا دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم فيجب التوقف فيه على حد التجويز، وفيه دلالة على أنه لا يُطرح بل يجب أن يُتَعَرَّفَ: هل هو صدق أم كذب؟».

٥- تفسير روح البيان للمؤلف إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوقي (٣ / ١٥٤): «وخبر الواحد لا يفيد إلا الظن ولا عبرة بالظن في الاعتقادات». وقال في موضع آخر (١٠ / ٤١): «﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما قلت ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وفي هذا دلالة على أن خبر الواحد وهو الحديث الذي يرويه الواحد والاثنان فصاعداً مالم يبلغ حد الشهرة والتواتر لا يوجب العلم، فيجب التوقف فيه على حد التجويز». وفي موضع آخر (١٢ / ٤٤٥): «خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط لا يفيد إلا الظن، ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقادات».

٦- فتح القدير (٩٢ / ٥) الشوكاني: «من الظن ما يجب اتباعه، فإن أكثر الأحكام الشرعية مبنية على الظن كالقياس وخبر الواحد». وقال في موضع آخر (٥ / ١٥٨): «إن دلالة العموم والقياس وخبر الواحد ونحو ذلك ظنية، فالعمل بها عمل بالظن، وقد وجب علينا العمل به في مثل هذه الأمور».

٧- مفاتيح الغيب (١ / ١٦١) و (٦ / ١٤٤) تفسير الرازي: «خبر الواحد لا يفيد إلا الظن».

٨- اللباب في علوم الكتاب (٢ / ٢١٥) المؤلف أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي

شرح الحديث

١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧ / ١) لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ): «واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل هل يوجب العلم والعمل جميعاً، أم يوجب العمل دون العلم، والذي عليه أكثر أهل العلم منهم أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بمجيئه قطعاً ولا خلاف فيه».

٢- العرف الشذي شرح الترمذي لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي المحقق محمود أحمد شاكر (١ / ٢٥): «ونقول إن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن، فعملنا به معاملة الظن»

٣- شرح الزرقاني على موطأ مالك (٢ / ٢٥١): «قال جمهور العلماء ويجري عندهم مجرى خبر الواحد في العمل به دون القطع، قاله ابن عبد البر (وذلك في القراءة الشاذة)»

٤- شرح النووي على مسلم (١ / ١٣١): «الذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم»، وقال أيضاً (١ / ١٣٢): «وأما من قال يوجب العلم فهو مكابر للحس، وكيف يحصل العلم واحتمال الغلط والوهم والكذب

الحنبلي: «قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: تمسك منكرو القياس وخبر الواحد بهذه الآية، قالوا: لأن القياس وخبر الواحد لا يفيدان العلم، فهو قول على الله بما لا يعلم. والجواب أنه دلت الدلائل على وجوب العمل عند حصول الظن المستفاد من القياس، منه خبر الواحد، فكان وجوب العمل عنده معلوماً، فكان القول به قولاً بالمعلوم».

٩- فتح البيان في مقاصد القرآن (٧ / ٣٩٠) لأبي الطيب محمد صديق خان البخاري القنوجي: «﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وأقول إن هذه الآية دلت على عدم جواز العمل بما ليس بعلم، ولكنها عامة مخصصة بالأدلة الواردة بجواز العمل بالظن كالعمل بالعام وبخبر الواحد والعمل بالشهادة والاجتهاد في القبلة وفي جزاء الصيد ونحو ذلك، فلا يخرج من عمومها ومن عموم أن الظن لا يغني عن الحق شيئاً إلا ما قام دليل جواز العمل به». وفي موضع آخر (١٣ / ١٤٧): «أكثر الأحكام الشرعية مبنية على الظن: كالقياس، وخبر الواحد، ودلالة العموم، ولكن هذا الظن الذي يجب العمل به قد قوي بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به».

١٠- نواسخ القرآن (١ / ٨٣) لابن الجوزي: «الأخبار المنقولة بنقل الآحاد، فهذه لا يجوز بها نسخ القرآن؛ لأنها لا توجب العلم بل تفيد الظن، والقرآن يوجب العلم، فلا يجوز ترك المقتوع به لأجل مظنون».

(١٢٥) لابن الأثير الجزري: «وخبر الواحد لا يفيد العلم ولكننا مُتَعَبِّدُونَ به. وما حكي عن المحدثين من أن ذلك يورث العلم، فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل، أو سَمَّوا الظن علمًا، ولهذا قال بعضهم: يورث العلم الظاهر، والعلم ليس له ظاهر وباطن، وإنما هو الظن. (هذا وقد علق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على هذا الكلام في تحقيقه لجامع الأصول بقوله: سواء أكان مما اتفق الشيخان على روايته في صحيحهما، أم رواه أحدهما، أم رواه غيرهما على شرطهما، وسواء أكان في طريقه إمام أم لم يكن، وهو مذهب المحققين وأكثر العلماء، واستدلوا على هذا بجواز الخطأ والنسيان على الثقة عقلاً، ومع هذا الجواز العقلي لا يمكن ادعاء القطع، فإنه لا يمكن ادعاؤه إلا إذا انتفى ما يعارضه ويأتي عليه. قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٠/١): «فإنهم - أي: المحققين - قالوا: إن أحاديث الصحيحين التي ليست متواترة إنما تفيد الظن؛ لأنها آحاد، والآحاد إنما تفيد الظن كما تقرر، ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك، وتلقي الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما، وهذا متفق عليه، فإن أخبار الآحاد في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدُها ولا تفيد إلا الظن، وإنما يفتقر الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحًا لا يحتاج إلى النظر فيه، بل يجب العمل به مطلقًا، وما كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم».

٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/٤٤٤): «أن خبر الواحد إذا حُفَّ بالقرائن يفيد اليقين».

٦- فتح الباري ابن حجر (١٣/٢٣٤): «قال الكرمانى وأفرد الثلاثة بالذكر للاهتمام بها. قال الكرمانى ليعلم أنما هو في العمليات لا في الاعتقادات (وذلك في باب قبول خبر الواحد في الأذان والصلاة والصوم)»

٧- فتح الباري لابن رجب (١/١٧٤): «إن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن».

٨- جامع الأصول في أحاديث الرسول (١/١)

وغير ذلك متطرق إليه والله أعلم»، وقال في موضع آخر: (١/ ٢٠): «ما قاله المحققون والأكثرون فإنهم قالوا أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة إنما تفيد الظن فإنها آحاد، والآحاد إنما تفيد الظن على ما تقرر، ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك، وتلقي الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما، وهذا متفق عليه، فإن أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدُها ولا تفيد إلا الظن، فكذا الصحيحان، وإنما يفتقر الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحًا لا يحتاج إلى النظر فيه، بل يجب العمل به مطلقًا، وما كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم».

٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/٤٤٤): «أن خبر الواحد إذا حُفَّ بالقرائن يفيد اليقين».

٦- فتح الباري ابن حجر (١٣/٢٣٤): «قال الكرمانى وأفرد الثلاثة بالذكر للاهتمام بها. قال الكرمانى ليعلم أنما هو في العمليات لا في الاعتقادات (وذلك في باب قبول خبر الواحد في الأذان والصلاة والصوم)»

٧- فتح الباري لابن رجب (١/١٧٤): «إن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن».

٨- جامع الأصول في أحاديث الرسول (١/١)

فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم. نقول (الشيخ عبد القادر الأرناؤوط): ومن مارس صناعة الحديث وفحص متونها وأسانيدھا وتبعتها تتبعًا دقيقًا لا يسعه إلا أن يسلم بما نقله الإمام النووي رحمه الله عن المحققين وارتضاه».

٩- حاشية السندي على ابن ماجه (٨٣ / ٤) (شرح حديث أن الله فرض على كل مسلم الخ) قَوْلُهُ (فَرَضَ) أَيِ أَوْجَبَ، وَالْحَدِيثُ مِنْ أَحْبَارِ الْآحَادِ فَمَوْدَاهُ الظَّنُّ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ بِوُجُوبِهِ دُونَ افْتِرَاضِهِ مَنْ خَصَّ الْفَرَضَ بِالْقَطْعِ وَالْوَاجِبَ بِالظَّنِّ (عَلَى كُلِّ حَرٍّ وَعَبْدٍ).

١٠- حاشية السندي على النسائي (٤٧ / ٥): «الحديث فرض الله زكاة رمضان، قوله: فرض، أي أوجب، والحديث من أخبار الآحاد فمؤداه الظن؛ فلذلك قال بوجوبه دون افتراضه من خص الفرض بالقطعي والواجب بالظني».

١١- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٩ / ٤) المؤلف / الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ المرحوم الفقيه أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري القرطبي: «وأخبار الآحاد إما تفيد غلبة الظن، غير أن الظن على مراتب في القوة والضعف، وذلك موجب للترجيح».

١٢- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (١٣٨ / ١): «هذا هو طريق

أهل الصنعة ومذهبهم، وهو غاية جهدهم وحرصهم، وبمقدار علو حديث الواحد منهم تكرر الرحلة إليه، والأخذ عنه، مع أن له في طريق التحقيق والنظر وجهًا، وهو أن أخبار الآحاد وروايات الأفراد لا توجب - كما قدمنا - علمًا، ولا يُقْطَعُ عَلَى مُغَيِّبِ صدقها، لجواز الغفلات، والأوهام، والكذب على آحاد الرواة، لكن لمعرفتهم بالصدق ظاهرًا وشهرتهم بالعدالة والستر، غلب على الظن صحة حديثهم وصدق خبرهم، فكلفنا العمل به، كما قال في (١٣٤ / ١): «قال مسلم: (خبر الواحد الثقة عن الواحد حجة يلزم به العمل). هذا الذي قاله هو مذهب جمهور المسلمين من السلف والفقهاء والمحدثين ومذهب الأصوليين، وأن وجود ذلك من جهة الشرع كأن نقله بواحد عن واحد أو أكثر ما لم يبلغ عدد التواتر، وإن أوجب غلبة الظن دون اليقين والعلم».

١٣- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٨١ / ١) المؤلف أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري: «أخبار الآحاد: الآحاد جمع أحد بمعنى واحد. وخبر الواحد: في اللغة: ما يرويّه شخص واحد، وفي الاصطلاح: ما لم يصل حد التواتر، أو لم يتوفر فيه شروط المتواتر، وهو يفيد الظن».

[يتبع]



النصر: معناه، سببه، شرطاه، موانعه

عبد الكريم أبو مصعب

نقول، وبالله التوفيق، أنه بسبب الثقافات الدخيلة، وتأثر أفهام المسلمين بها، وبعدهم عن التقيد الصحيح بأحكام الإسلام في هذه الأيام؛ يلتبس على الكثير منهم مفهوم النصر؛ وهذا أدى بدوره إلى اختلافهم في كيفية تحقيقه؛ فاختلفت تبعاً لذلك مواقفهم تجاه ما يحدث هذه الأيام في عالمنا الإسلامي.

فبعضهم يعتبره هبة إلهية يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده، من دون استحقاق واستعداد وتهيئة وامتحان وكرب... وهذا خطأ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝﴾ [محمد]. فالنصر من الله له تكاليفه الشرعية، وليس أمانياً كامئياً أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝﴾ [النساء]. ومنهم من يعتقد أن الواقع لا يسمح بالنصر حالياً، وأنه بعيد عنا؛ لذلك ارتأى أن يذوب في هذا الواقع، ومنهم من يربطه بظهور المهدي وأحاديث آخر الزمان وأقاويل كثيرة في هذا المجال.

مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [آل عمران]. ولذلك وجدنا أن نسلط الضوء على مفهوم النصر بشكل عام: النصر لغة تتضمن عدة معانٍ منها: العون والتأييد... والنصر اصطلاحاً هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم. وكلمة «النصر» في القرآن الكريم جاءت مع مشتقاتها وصيغها في مواضع كثيرة جداً. أما كلمة النصر شرعاً، فقد ذكرت في أحد عشر موضعاً، وجاءت متنوعة في كل موضع، بحسب سياق الآية، ومن أهم معانيها:

لو راقبنا حركة التاريخ، وصراع الحضارات لأبصرنا بأن المداولة بين الناس والدول سنة كونية، فما من دولة استحوذت التاريخ البشري كله، وما من دولة استمرت إلى ما لا نهاية، ومداولة الأيام سنة من سنن الله في مجتمعنا البشري، فتكون مرة لأهل الباطل ومرة لأهل الحق، وإمّا مضمون لصاحب الحق أن تكون العاقبة له ما دام على الحق، فالسنة الإلهية قانون ثابت لا يحابي أحداً، ولا يستثني أحداً، إلا بإذن الله، فمن وقع تحت نطاقها انطبقت عليه كما تنطبق على غيره، وهذا يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ

وهو ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم لذاته، نتوصل بأن سبب النصر هو بيد الله حصراً، وثمنه أن تنصر دينه، وله شرطان، ومن تعريف الشرط أصولياً، وهو ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، وهو ناتج عن واهبه، وهو الله تعالى. وشرطا النصر هما:

١- الإيمان الذي يحملنا على طاعته والاستعانة به وحده ونسلم له تسليماً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٧.

٢- الإعداد القوي بمعناه العام، والعدة المتاحة وليس كمال العدة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ٢٠ [الأنفال].

وللنصر أنواع منها:

(١) النصر الذي وعدنا الله به إذا استحققناه واستوفينا شرطيه، وهما: الإيمان، وإعداد القوة المتاحة، وأي تقصير أو مخالفة لا يحدث النصر، ومثالنا في أحد حيث وقع بعض الصحابة في معصية عندما غادر الرماة مواقعهم، وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي يوم حنين حيث وقعوا في شرك خفي حين أعجبتهم قوتهم.

(٢) وهناك نصر تفضيلي، وهنا حكمة الله هي التي تقتضي أن ينتصر طرف على طرف

أولاً: الحماية والدفع، وأغلبها في سياق تهديد الكفار والعصاة، وذلك بعدة صيغ:

١- بصيغة نفي الحماية من عذاب الآخرة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٦١ [الطور].

٢- بصيغة نفي القدرة الذاتية عن دفع العذاب كقوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود].

٣- بصيغة الانتقام برد الظلم: كقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ٤١ [الشورى].

٤- بصيغة العون والمساعدة: كقوله ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ ١٥ [الحج].

وهنا ذكر العلماء فرقاً بين النصر والإعانة، بحيث لا يكون النصر إلا على المنازع، والعون يكون على ذاك وغيره، أي أن العون أعم من النصر.

ثانياً: الغلبة والظفر: وهذا المعنى الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة النصر كقوله ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٠ [الأنفال] وهذا يؤكد انحصار حقيقة النصر بالله وحده.

ثالثاً: مشتقات النصر: وهي كثيرة في القرآن، نذكر منها على سبيل الذكر فقط: الفتح، التمكين، الظهور، الفوز، الفرقان، النجاة، الغلبة...

مما سبق، ومن تعريف السبب أصولياً،

الله عز وجل الحق بنصره قولاً وفعلًا ونتيجةً، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤١]. وإن بعض المفاهيم الخاطئة لدى المسلمين اليوم أورثهم مفهوم التواكل، وهذا سببه جهلهم بهذا الدين الذي هو منهج إلهي لحياة البشرية؛ فلذلك وجب الجهد البشري في حدود الواقع المادي؛ ولذلك حتى يتحقق النصر البشري يجب أن يحمل جماعة من البشر هذا الدين، فيؤمنوا به إيمانًا كاملاً، ويمتحنوا فيه حتى يستقيموا عليه، ويجتهدوا لتحقيقه في قلوب الآخرين، فينتصرون على أنفسهم بثباتهم وتمسكهم بدينهم، ثم يأتي النصر بعد أن يتحقق التغيير البشري، فيتبعه تغيير إلهي ويتحقق النصر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وأيضًا للنصر موانع. المانع أصوليًا هو ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته. ومنها على سبيل الذكر:

١. التنازع والفرقة قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

والتنازع هو الاختلاف الذي يدب بين المجاهدين في سبيل الله بعد حصولهم على قوة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

٢. المعصية ومخالفة الأوامر، وهنا المعصية هي مخالفة أوامر الله، ومخالفة أوامر القادة

مثاله قوله تعالى: ﴿عُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيعْلَبُونَ﴾ في بضع سنين لله الأمر من قبلُ وبعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ١].

٣) وهناك نصر للمبدأ وهو أن يموت الإنسان على مبدئه، وهو منصور عند الله، ومثاله أصحاب الأخدود، فهم ماتوا جميعًا، ولكنهم انتصروا نصرًا مبدئيًا؛ لأنهم ثبتوا على إيمانهم بالله تعالى.

هذه هي أنواع النصر، ولكن النصر الذي وعدنا الله به، وبشرنا به رسوله الكريم هو النصر الأول، أي النصر الذي استحققناه، نسأل الله أن يكون قريبًا.

وسوف نتطرق الآن لعلاقة النصر بالابتلاء والتدافع، والجهد البشري، فمن الحقائق الثابتة في القرآن أنه لا نصر دون ابتلاء، وهناك من يقول: هل من الضروري أن نبتلى حتى نتنصر؟ نعم، لقد اقتضت سنة الله تعالى أنه لا بد من الشدائد والكروب حتى لا يبقى بقية من جهد ولا طاقة، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل الأسباب الظاهرة. قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ نَجُوسٌ مُنِفٍ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ولولا دفع الله أهل الباطل بأهل الحق، لغلب أهل الباطل والفساد، وبغوا على الصالحين؛ فتفسد الأرض؛ ولذلك نجد التدافع قبل النصر، أي أن الحق يتصارع مع الباطل حتى يكون التصارع على أشده ومباشرًا، فيؤيد

فيما لا يغضب الله، وأن لا ينجروا وراء المكاسب اللحظية من مالٍ ومنصبٍ وغيرها.

٣. موالاة غير الله، واتباع سبيل غير سبيله: إن أردنا أن ينصرنا الله علينا أن لا نوالي غير الله، ولا نتبع غير سبيله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَاطِلَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران]. وغيرها من الموانع.

وبعد كل هذا البعد عن الله، نتساءل أين نصر الله الذي وعد؟ ولكن قد يتأخر النصر قليلاً على الذين يعملون بحق ويحاولون استئناف الحياة الإسلامية، وذلك لأن النصر لا يأتي مصادفة، وإنما يخضع لسنة وقانون رباني، وما أبطأه الله إلا لحكمه له سبحانه، ومن صورها:

(١) أن الأمة لم تنضج بعد لنيل النصر، فإن نصرت لم تقدر على حماية نصرها.

(٢) أو لم يتبلور في قناعتها أن كل قوى الدنيا مجتمعة لا تكفل لها النصر دون الله تعالى.

(٣) أو أن الأمة لم تتيقن أن صلتها بالله هي الضمانة الوحيدة لاستقامتها بعد تحقق النصر.

(٤) أو حتى ينكشف لنا كل زائف ومخادع، ويتعزى أهل الباطل بكل أشكاله.

أما استعجال النصر، فهو ليس عيباً، أو حراماً؛ لأن الإنسان بطبعه عجول لقول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء]. فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوا أن

يستنصر لهم، ويدعو لهم، فطالبهم بالصبر. شكّا خباب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال ﷺ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيَمْشُطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (البخاري).

بعد هذا التبيان البسيط نقول: نعم إن نصر الله قادم لا محالة متى استوفينا شرطيه، وإنما يبدأ التغيير من بني البشر، وأن يأخذ كل شخص منا على عاتقه أن يكون من هذه الجماعة التي تحمل الدعوة إلى دين الله بكل إخلاص، ويسقط الإثم على كاهله بأن يعمل مع العاملين، وإن كان منهم أن يبذل قصارى جهده، وفي هذه الأيام تكشفت لنا كثير من الأفتنة الزائفة، والشعارات الرنانة الفارغة المحتوى، ولم يبق في الساحة إلا القليل، فبجهد بسيط تستطيع أخي المؤمن أن تجد هذه الجماعة التي لديها مشروع واضح، وهدف مبدئي، ولا تحيد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم؛ لعل الله يكتب لك الخير، وينير لك البصيرة، فإنك مطالب بالسعي، والعمل الجماعي للتغيير، وأن يكون عملك مبرئاً للذمة. والله من وراء القصد ■

وماذا بعد الأخلاق؟

لطفي بن محمد - ماليزيا

على مدى سنوات طويلة، والخطاب الديني وخاصة الرسمي منه والمسموح به وحتى المقبول إعلامياً ينحى منحىً واحدًا ألا وهو حصر الدعوة في المجال الأخلاقي وربط كل العقد بها، فمشكلة المسلمين في نظر هذا الطرح تتلخص في أن أخلاق المسلمين انحدرت، وأنه بالدعوة إليها وجعلها محور دورانهم سيؤدي لا محالة إلى تغير أحوالهم. وبناء على هذا الأساس، فقد عقدت المؤتمرات، الواحد تلو الآخر، وألّفت الكتب ومنحت بالمجان؛ كل هذا من أجل استعادة الأخلاق الإسلامية وجعلها الأساس الذي يتصرف من خلاله المسلم، وجاؤوا بكل ما يسند أقوالهم من أحاديث وسنن الصحابة وحتى أبيات الشعر، وأسسوا لها المؤسسات، وجاءوا بنصوص وأدبيات تدعو إلى "أخلقة" العلوم الإنسانية والعلمية، بل وجعلوا لها حصصًا في الجامعات، وعملوا على تقسيم الأخلاق إلى دينية ودنيوية، ودعوا إلى عقد المقارنات بين الفكر الأخلاقي في الديانات الأخرى، على اعتبار أن الأخلاق من أهم الأمور المشتركة بين الديانات والرسالات. ولم يتركوا منبراً إلا وكان الحديث حول أخلاق وشمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنه ذلك الإنسان الطيب المتسامح الخلق، وأن رسالته كانت لسبب وحيد هو إتمام كمال الأخلاق التي كانت موجودة على زمن الجاهلية وجاء الإسلام ليعطيها دفعة ومسحة ربانية.

فقرنا، واحتلت بلادنا، وانتشر الجهل والفساد بكل أنواعه الأخلاقي والإداري والسياسي والعائلي... وانهارت الكثير من القيم وأصبح الإسلام غريباً في دياره، وتكلم فينا الروبيضات؛ كل هذا بالرغم من الجهود التي يبذلها دعاة هذا المنهج، سواء بحسن نية أم بسوءها. ولمناقشة هذا الطرح وتبيان ما له وما عليه، وجب أن نتناوله من جوانب عدة لإزالة الغش عن الأذهان وتصحيح مفاهيمه.

الملاحظ أن الدعوة إلى الأخلاق تتم بصورة مضخمة، وتسخر لها الكثير من الطاقات، وتفتح لها المنابر، سواء الرسمية منها أم الخاصة؛ ولكن في المقابل ألا يتوجب علينا النظر بنظرة نقدية واعية ومستفيضة لهذا المنهج، خاصة وأننا نسمع ونرى الكثير من الأحداث التي تقشعر لها الأبدان وتوحي بأن أخلاق الأمة في تدهور مستمر وبشكل متسارع، فقد زادت مشاكلنا الاقتصادية وزاد

ﷺ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» أخرجه أحمد وفي الحديث الذي رواه مسلم قال رسول الله ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ».

أما اصطلاحًا، فقد عرفها الطاهر بن عاشور على أنها السجية المتمكنة في النفس، باعثة على عمل يُناسبها من خير أو شر، ويقال خلق حسن وآخر ذميم. وعبر عنها الشيخ تقي الدين النبهاني على أنها إحدى مقومات الفرد، وهي تلك الأحكام التي تنظم العلاقة بين الإنسان بنفسه، والتي تشمل إلى جانب الأخلاق المطعومات والملبوسات. وبالرغم من أن الشريعة فصلت الكثير من الأحكام وأولت اهتمامًا بها إلا أن أحكام الأخلاق اعتبرت على أنها أوامر ونواهٍ من الله دون تمييزها عن غيرها من الأحكام، حتى إن الفقهاء لم يجعلوا لها أبوابًا في كتبهم وإنما اعتبروا أن الأخلاق جزء من الشريعة وقسم من الأوامر التي وجب الالتزام بها، وتحقيقها في واقع المجتمع عمليًا يقتضي إيجاد المشاعر والأنظمة الإسلامية.

فالمجتمع الإسلامي هو ذلك الكيان الإنساني الذي يمارس نمط حياة متميزاً يشمل الأفكار والمشاعر والأنظمة، وتكون الناحية الروحية فيه مرتبطة بالعقيدة الإسلامية في كل جوانبه. فكل جزئية في حياة الفرد والجماعة المسلمة قد خصص لها الإسلام معالجة تنتهي بها إلى بر السلام. فمثلاً معالجة الفقر تكون بتطبيق مجموعة من الأحكام الشرعية التي

عرف الفيروز أبادي الخلق بأنه السجية والطبع، والمروءة والدين. وقد فرق اللغويون بين الخلق بفتح الخاء والخلق بضمها؛ قال العلامة الراغب الأصفهاني: "والخلق والخلق في الأصل واحد كالشرب والشرب، والصَّرم والصَّرم، لكن حُصَّ الخلق بالهيئات والأشكال والصور المُدرَكة بالبصر، وحُصَّ الخلق بالقوى والسجاي المُدرَكة بالبصيرة". أما التعريف الشرعي للخلق، فإن الاستخدام القرآني للمصطلح لم يختلف كثيراً عن الوضع اللغوي، فقد ورد لفظ الخلق مرتين في القرآن الكريم. الأولى في قوله تعالى على لسان قوم هود: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧] والمقصود به على تفسير ابن عباس دينهم وعاداتهم وأخلاقهم ومذهبهم. والثانية في قوله تعالى مخاطباً سيد الخلق محمداً ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. قال الطبري في تفسيره للآية: "يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: وإِنَّكَ يَا محمد، لَعَلَى أَدَبٍ عَظِيمٍ، وذلك أدب القرآن الذي أدَّبه به، وهو الإسلام وشرائعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل". ونقل عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك قولهم في تفسير: ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: دين عظيم.

أما في السنة فقد ورد مصطلح الخلق في مواطن عدة لا يمكن حصرها كقول أمنا عائشة رضي الله عنها في وصف خلق الرسول

منهما وحكم للمظلوم. وعند اعتداء اليهود وخيانتهم لم يطلب من المسلمين أن يلتزموا الدعاء وإنما حرك الجيوش، فالإسلام استسلام لله وليس لأعداء الله. وعند وفاته أوصى بإنفاذ جيش أسامة... وبهذا يظهر أن أفضل البشر أخلاقًا كان يتعامل بحسب الوحي ويعالج كل أمر بما يقتضيه من حكم. فمن أين جاء أصحاب هذا الطرح أن التخلُّق هو الحل؟! فلا يمكن بأي حال من الأحوال مطالبة الناس بالتخلُّق من أجل القضاء على الفقر أو الظلم أو الاحتلال، فهذا منطق معوج وقلب للمفاهيم وقصر عن فهم الإسلام وتشريعاته، بل هي محاولة يائسة لحصر الإسلام وجعله على سياق واحد مع بقية الأديان، وهذه النظرة الدونية للإسلام هي في حقيقتها نظرة تتوافق مع الرؤية العلمانية لمفهوم الدين ودوره في الحياة. ولو كان الأمر كذلك لاقصر القرآن على آية واحدة، ولكانت الغاية من بعث الرسول هي جعل الأمم متخلقة فقط، وهو ما يتنافى مع الغاية الأساسية للإسلام، ألا وهي إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وليتضح المعنى أكثر نضرب مثالاً: فمن المعلوم أن بعض الدول الغربية المتقدمة تكاد تخلو من الفقراء بالرغم من أن سوء أخلاقهم لا يختلف فيه اثنان؛ الشذوذ وزنا المحارم والخمر والعنصرية... وبالرغم من هذا كله نجد أن الفقر منعدم، وعلى العكس في كثير

من خلالها تنتظم شؤون المال في المجتمع، فالتوزيع العادل للثروة من خلال آلية الزكاة والأوقاف ومنع الكنز وربط العملة بالمعدنين وغيرها هي الأحكام التي بتطبيقها نحصل على مجتمع خالٍ من الفقر والفقراء، وقد يكون دور الأخلاق فيها ثانويًا، ومعالجة الظلم تقتضي وجود قضاة شرعيين يحتكمون إلى الإسلام ويفصلون في القضايا. فالرجل الذي كان يتسول لم يأمره رسول الله بحسن الخلق، وإن كان مما يجب أن يتصف به، وإنما سأله: هل في بيتك شيء؟ قال في بيتي قطعة جلد وقربة. فقال له عليه الصلاة والسلام: اتني بهما. فذهب الرجل وأحضرهما، فأخذها رسول الله وقال: "من يشتري هذا؟" قال صحابي: أنا يا رسول الله. قال: بكم؟ قال: بدرهم. فقال عليه الصلاة والسلام: "من يزيد؟" قال أحدهم: بدرهمين. فباعها رسول الله للرجل، ثم قال للرجل السائل: "خذ هذين الدرهمين، واشترِ بأحدهما طعامًا لأهلك وبالثاني فأسًا". فذهب الرجل وفعل كما أمره رسول الله، ثم جاء إلى رسول الله ويده فأس، فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام الفأس ووضع فيه عودًا وقال له: "أذهب بهذا الفأس واحتطب به، ولا تأت إلينا إلا بعد خمسة عشر يومًا". فذهب الرجل واحتطب وباع ما احتطبه، وبعد خمسة عشر يومًا جاء وقد كسب عشرة دراهم. وجاءه شخص يشتكي من آخر فسمع

من بلاد المسلمين كالسودان وموريتانيا تجد أن بها أحسن الناس خلقًا، ولكن الفقر هو السمة الغالبة هناك. وعليه فالمعادلة هي أن الأخلاق ليست عنصرًا في قيام المجتمع ولا رقيه أو انحطاطه، بل المؤثر هو العرف العام. وفي هذا الصدد يذكر أحد الرحالة البريطانيين في زيارة له لمدينة جدة في بلاد الحجاز، خلال الوجود العثماني، أن الفرد يمكن له أن يتعلم كل أمور دينه خلال أسبوع واحد؛ لأن الكل بمن فيهم الحاكم والمحكوم يتناولون الإسلام في أغلب أحاديثهم وأمور دنياهم. على العكس في بلادنا نجد أن الأنظمة تسعى إلى إيجاد عرف مميّح لا هو إسلامي ولا هو علماني بحث، وإنما هو خليط مسخ، وتعمل بكل جد لبث المفاهيم المغلوطة من خلال الوسائل المتاحة لها. فيجابه دعاة الأخلاق بكم هائل من الناس وقد تلبدت أفكارهم وسلوكياتهم، فيحاولون مخاطبتهم بخطاب وعظي إنشائي يزول بانتهاء مفعول الحقن الوعظية. إن القضية أكبر من أن يتم اختزالها في أخلاق، وإنها أكبر من أن يتم حصرها في جانب واحد من الإسلام، بل هي قضية وجب النظر إليها باعتبارها قضية مصيرية يتحدد بموجبها غاية وجودنا كأمة صاحبة رسالة، والتي لن تتحقق إلا بوجود المجتمع الذي يتخذ العقيدة الإسلامية قاعدة فكرية لكل أفكاره وأنظمته ومشاعره.

وعليه فإن الأمر يحتاج إلى فهم دقيق

للوواقع بكل تجلياته وخاصة الجانب السياسي منه، في ظل الترسانة الإعلامية والمادية المستخرجة لهذا الطرح الذي يتسم بكونه دعوة تسير في تيار لا يعادي الباطل بشكل جلي، بل على العكس هو طرح يشرعن للباطل ويسكت عنه، وذلك بإلقاء اللوم على الشعوب، ونفيه عن الأنظمة التي ما فتئت تسوم الناس أنواع الظلم والفساد والذي هو نتيجة لتطبيق الكفر عليهم. إن مطالبة الناس بالعودة إلى الإسلام وعقيدته وجب أن تكون شاملة، ودليل ذلك هو تلك الأحاديث الكثيرة التي ربطت التمكين والاستخلاف بالتمسك بأحكام الله، فقد قال رسول الله ﷺ «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكن بهما: كتاب الله وسنة نبيه» وقال أيضا «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» هذه الأحكام التي غابت في مجملها وصارت موروثًا تاريخيًا على حد قول البعض، وأصبحت الشكوك تثار حول قدرة الإسلام على مسايرة العصر واعتباره أمرًا قد تجاوزه الزمن ووجب البحث عن بديل آخر، وغيرها من المفاهيم التي يتم الترويج لها والتي وجدت مناسبا وفره لها أصحاب المنهج الأخلاقي الذين لم يبرزوا الإسلام ولم يعطوه حقه، وعملوا على حصره في زاوية ضيقة، فما كان من التيار العلماني والمعادي للإسلام إلا أنه اقتنص الفرصة وسعى إلى نشر سمومه بناء على قاعدة التدافع بين الحق والباطل. إن الاستمرار في هذا الخطاب هو تكريس للتضليل



بديلاً يحتوى على كل ما يتعلق بالحكم والرعاية، وهو ما يشكل خطراً على وجود الأنظمة. على عكس بقية التجمعات التي تعمل تحت أطر متنوعة من مثل جمعيات المجتمع المدني والأخلاقي. وعلى هذا الأساس فإن الأنظمة في البلاد الإسلامية تسمح بوجود من يتبنى الطرح الأخلاقي وتعمل على دعمه وفتح المجال له، وهذا يوفر لها مصداقية لدى الكثير من أبناء الأمة حين يرون الرئيس يستقبل العلماء ويشارك في لقاءاتهم، وهذا هو التزليل بعينه. إن الإسلام هو مجموعة حلقات مترابطة متكاملة تؤتي أكلها بتطبيق مجموعها تطبيقاً شاملاً يتحقق بموجبه المجتمع الإسلامي، ويصبغ الفرد فيه بصبغة العرف العام الذي يوجد بوجود الأنظمة والمشاعر والأفكار التي يسهر الحاكم على تطبيقها وبثها في المجتمع.

وفي الأخير، إن مجرد الحيد عن المبدأ الإسلامي بفكرته وطريقته هو مجلبة للضعف والهوان؛ لأن من سنة الله في كونه أنه لا يَمَكِّن للمسلمين بالطريقة ذاتها التي مَكَّن بها الكفار، إنما يَمَكِّن لهم فقط إن هم استقاموا على الطريقة. فالقول بأن الإسلام عقيدة روحية سياسية، أي أنها منظومة فكرية تضبط علاقات المجتمع كلها من حكم واقتصاد وتعليم وسياسة خارجية ضبطاً له مصدر واحد ألا وهو العقيدة، هو ما يؤدي لا محالة إلى طراز معين في العيش تتحقق من خلاله النهضة الصحيحة ■

على الأمة ونشر للإحباط في أوساطها خاصة مع هول الفساد وضخامته.

إنه مما لا شك فيه أن أي فكرة إصلاحية تتبنى مشروعاً عملياً للإصلاح وتسعى لأن تنقل به الناس من حال إلى حال لا يمكن أن يكون له تأثير في أوساط الناس إلا إذا تبنته جماعة آمنت بالفكرة وحملتْها إلى الناس لإقناعهم بالعمل بها ومعها، وهذه سنة من سنن الحياة. فوصف الأمة بأنها كيان سياسي أمر يقودنا إلى القول إن هذه الصفة السياسية للمجتمع تجعل العمل على تغييره عملاً سياسياً لأن الرؤية السياسية هي التي تحمل مشروعاً كاملاً لا تستطيع أي كتلة أخرى على حمله، وهذه الكتلة تسعى من خلاله إلى قولبة المجتمع بنظام معين في كل ما يتعلق به من تشريعات وأحكام. وإنه لمن المؤكد أن أصحاب الفكرة الإصلاحية المبدئية سيصطدمون بالفئة الحاكمة باعتبار أن الهدف هو نقل المجتمع الذي تحكمه منظومة قانونية وفكرية ليست من جنس المبدأ، وعليه فإن أي طرح يناقض أو يُطرح بديلاً لتلك المنظومة سيجعل صاحبه في صدام لا مفر منه؛ ومن هنا كان العمل السياسي ذو النزعة الجذرية في التغيير غير مرغوب فيه بين أوساط الناس، وإن كانوا يدركون أنه هو الأصوب؛ ولهذا كانت ولا زالت الأحزاب السياسية أشد الجماعات المضطهدة من طرف الطبقة الحاكمة لأنها تطرح مشروعاً سياسياً



تهديدات ترامب ضد تركيا استجداء لدعم الإنجليين في الانتخابات

يرى خبراء أميركيون أن التهديدات التي أطلقها مؤخراً الرئيس الأميركي دونالد ترامب، ونائبه مايك بنس، ضد أنقرة عقب قرار محكمة تركية بفرض الإقامة الجبرية على القس الأميركي أندرو برانسون، المتهم بالتجسس والإرهاب، تهدف لاستجداء دعم الإنجليين في الانتخابات النصفية المزمع إجراؤها في البلاد بعد أشهر. فقد قال البروفسور دانييل سيرور، عضو الهيئة التدريسية في معهد الدراسات الدولية لدى جامعة جون هوبكنز الأميركية، وهو خبير في شؤون الشرق الأوسط: إن "تهديدات ترامب متعلقة تماماً بالسياسة الداخلية للبلاد، وليست لها علاقة بتركيا". وأضاف أن " وراء هذه التهديدات محاولة من ترامب لإظهار نفسه بمظهر المدافع عن زعيم إنجليي يواجه اتهامات في تركيا". مبيناً أن ترامب يحاول إقناع الإنجليين بأنه يساند القس برانسون، بهدف الحصول على أصواتهم في الانتخابات المقبلة.

وتشهد الولايات المتحدة، في نوفمبر/تشرين الثاني المقبل، انتخابات نصفية ينتخب فيها الأميركيان جزءاً من أعضاء مجلسي الشيوخ والكونغرس. ويرى الخبراء أن أصوات الإنجليين في هذه الانتخابات تحمل أهمية كبيرة بالنسبة للجمهوريين.

وكان ترامب قد صرح، في تغريدة عبر "تويتر"، إن "الولايات المتحدة ستبدأ بفرض عقوبات واسعة ضد تركيا" وأضاف أن العقوبات تأتي "بسبب الاحتجاز الطويل لمسيحي عظيم ووالد عائلة، والإنسان الرائع القس أندرو برانسون... وينبغي إطلاق سراح هذا الرجل المؤمن فوراً".

الوعوي: إن هذه المسرحية ستطول حتى تؤدي هدفها... هذه هي أميركا، زعيمة المبدأ الرسمالي الهابط. وهذه هي سياستها الخارجية التي لا تحترم حتى عملائها... إنها أزمة مبدأ وحضارة وليس أزمة رئيس

بومبيو يؤكد اعتزام واشنطن مواصلة التعاون مع تركيا

قال وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، على هامش مشاركته في الاجتماع الـ ٥١ لوزراء خارجية رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان) في سنغافورة. إن تركيا دولة شريكة في حلف شمال الأطلسي "ناتو"، وتعتزم إدارة واشنطن مواصلة التعاون معها. وأشار أنه رغم التوتر في قضية القس "برانسون" (تحت الإقامة الجبرية في تركيا) فإن واشنطن وأنقرة تعدان شريكين مهمين. ولفت بومبيو، أنه طلب خلال لقائه جاويش أوغلو الإفراج عن القس والسماح له بالعودة إلى الولايات

المتحدة. وشدد على وجوب إطلاق سراح بعض العاملين المحليين في الخارجية الأميركية (القنصلية الأميركية بإسطنبول). مضيفاً: "ونأمل أن نرى ذلك في الأيام المقبلة" وقال لوكي كوفي، الخبير لدى وقف الميراث الذي يتخذ من واشنطن مركزاً له، أن وزارة الخارجية الأميركية والوزير بومبيو، قطعوا شوطاً كبيراً في قضية القس الأميركي برانسون، إلا أن تغريدة ترامب ونائبه بنس أضرت بالقضية وأدت إلى تأزمها. ولفت إلى أن تغريدة ترامب التي هدد فيها أنقرة، تظهر عدم وجود تنسيق بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية

الوحي: في الحقيقة، إن إثارة اعتقال برونسون لا تأخذ بعداً سياسية بين أميركا وتركيا، وإنما تأخذ بعداً انتخابياً أميركياً لمصلحة ترمب والحزب الجمهوري؛ لذلك بقيت العلاقات الخارجية غير متأثرة.

هل تسعى (إسرائيل) إلى إقامة دولة للدروز؟

بتاريخ ٢٠١٨/٨/٧م، نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" (الإسرائيلية) أن أحد المقربين من رئيس حكومة بنيامين نتنياهو، وهو ناتان إيشل، دعا دروز إسرائيل إلى الانتقال إلى سوريا وإقامة دولة درزية هناك. وجاءت هذه الدعوة بحسب الصحيفة على خلفية احتجاج الدروز على قانون القومية الذي أقره الكنيست.

نقل الصحافي "أمنون إبراموفيتش" في القناة "الثانية عشر" عن إيشل قوله: "بعدما انطلقنا، لا ينبغي تغيير أي كلمة في قانون القومية، وأي شخص لا يناسبه ذلك، فإن لديه جماعة درزية كبيرة في سوريا، وهو مدعو لإقامة الدولة الدرزية هناك". هذا وقد تنكب مكتب نتنياهو من التصريح وأوضح أن "بياناً من هذا النوع مخالف لرأي رئيس الوزراء وعمله من أجل الطائفة الدرزية، ومن المثير للسخرية محاولة نسب هذه المقولة إليه". غير أن إيشل رد بالقول "لست المتحدث الرسمي باسم رئيس الوزراء. أقول أشياء فقط بالأصالة عن نفسي وبحسب تقديري الخاص".

الوحي: هذا التصريح غير الرسمي يبدو أنه توطئة لما هو رسمي، وهو ينسجم مع السياسة الأميركية لصياغة المنطقة صياغة قائمة على التقسيم العرقي والطائفي، ومن أحسن عند يهود من دويلة لطائفة الدروز تشكل سياجاً لدولة (إسرائيل)؟!

تصريحات مثيرة لمدير مخابرات الأسد "الجوية" عن الخطة القادمة

قال موقع "سيريا ريبورتر" وهو تابع للمعارضة، إنه حصل على تفاصيل لقاء حضرته قيادات بارزة ومسؤول المخابرات العسكرية، وتم فيه تحديد الخطط العسكرية للمرحلة القادمة، والتي تأتي بعد اعتقاد قادة النظام بأنهم قادرون على تحقيق "انتصارات" بدعم كبير من روسيا وإيران،

خاصة بعد السيطرة على الغوطة الشرقية قرب دمشق ومحافظة درعا، وفق عربي ٢١. وقال مصدر إن اللقاء حضره ٣٣ ضابطاً وترأسه جميل الحسن، مدير المخابرات الجوية بدلاً من علي مملوك، مدير الأمن القومي، وذلك في ٢٧/٧/٢٠١٨.

وتناول اللقاء الإنجازات الأخيرة ووضع رؤية للمستقبل وطريقة تنفيذها بناء على مطالب قيادة البلد. وتركز الخطة على محو أي شيء يعرقل تطبيقها ويؤثر عليه في المستقبل. وسيتم التعامل مع أي شخص يعتبر عائقاً للخطة المستقبلية على أنه "إرهابي"، سواء أكانت جرمته بالقول أو بالعمل، وحتى الذين ظلوا صامتين فستتم محاكمتهم في السر والعلن.

وبحسب مدير الاستخبارات الجوية؛ فإن هناك ثلاثة ملايين سوري مطلوبين للعدالة. مضيفاً أن هذا العدد الضخم من المطلوبين لن يكون معوقاً للخطة. وقال إن "سوريا بـ ١٠ ملايين من السكان يمكن الثقة بهم ومطيعين للقيادة، أفضل من سوريا بـ ٣٠ مليون مخرب". ورأى أن وضع اللاجئين في دول الجوار لا يختلف عن وضع المطلوبين لأجهزة المخابرات. وقال إن التعامل مع الذين سيعودون مثل التعامل مع الأغنام، وستتم تصفية الشاة الفاسدة، وسيتم توجيه تهم الإرهاب لمن تلاحقهم الدولة.

وقال: "بعد ثمانية أعوام لن تقبل سوريا بوجود الخلايا السرطانية التي سيتم اقتلاعها تماماً" وأضاف أنه تم تحضير أكثر من ١٥٠ ألف ثري ورجل أعمال ساعدوا "الإرهابيين" وسيتم التعامل معهم من خلال التحرش والضغط، وسيتم تجميد أرصدتهم التي ستستخدم "لإعادة إعمار ما دمره"، وسيتم وضعهم في السجن الإجباري لتسريع عمليات الدفع.

أما تنفيذ ما تحدث عنه الحسن، فسيتم بصمت وبعيداً عن الأضواء الإعلامية، وهو ما طلبه الروس لضمان عدم تدخل طرف دولي. وتوقع الحسن الانتهاء من تنفيذ هذه المرحلة في غضون عامين.

الوحي: يخطئ من يظن أن الأوضاع في سوريا قد حسمت لمصلحة الأسد وأميركا وروسيا، وليعلم الجميع أن هذه الأوضاع لن تحسم إلا بانتصار الأمة، وقيام مشروعها بإقامة الخلافة الراشدة الموعودة.

ليبرمان يعد (الإسرائيليين) بالهدوء بعد استعادة الأسد الجنوب السوري

قال ليبرمان إن "تحولاً إيجابياً طرأ على البيئة الأمنية الإسرائيلية بعد استقرار نظام حكم الأسد واستكمال سيطرته على الجنوب السوري" معتبراً أن من مصلحة (إسرائيل) أن تعود الأمور إلى "ما كانت عليه قبل نشوب الحرب الأهلية في سورية". ونقل موقع "معاريف" عن ليبرمان قوله أيضاً إن "الأمور باتت أفضل، فالآن يوجد عنوان داخل سورية. يوجد حكم مركزي وسيكون مسؤولاً أمامنا"، مشدداً على أن إسرائيل "لم ولن تتدخل في الشأن السوري الداخلي ما دام يتم احترام اتفاق فصل القوات للعام ١٩٧٤، وبشرط ألا تكون سورية قاعدة متقدمة لإيران، وألا تتحول إلى

محطة لنقل السلاح إلى حزب الله". وقال وزير الحرب (الإسرائيلي): "إن الهدوء يمثل مصلحة لنا ولنظام الأسد، فالنظام يعي تمامًا ماذا يمكن أن يحدث في حال لم تعد الأمور إلى ما كانت عليه قبل العام ٢٠١١، وأنا متأكد من أن الأسد يأخذ ما أقول بعين الاعتبار". وشدد على أنه في حال تمّ الوفاء بهذه الشروط، فإن إسرائيل لن تتدخل في سورية، ولن تنفذ هجمات داخلها، مشددًا على أن تجاوز هذه الشروط يعني "أننا سنعمل بكل حرية من أجل ضمان تحقيق مصالحنا".

الوعمي: هذا التصريح يفصح أكثر وأكثر كيف أن نظام أسد (الوالد رئيس دول جبهة الصمود والتصدي، والولد رئيس دول المقاومة والممانعة) يشكل ضرورة وجودية لـ (إسرائيل). وإن ادعاء إيران وحزبها أنهما يريدان إزالة (إسرائيل) هو ادعاء في فراغ.

السفير الروسي لدى تل أبيب: «أمن إسرائيل من أولوياتنا»

أعلن السفير الروسي لدى تل أبيب، أناتولي فيكتوروف، في مقابلة مع القناة (الإسرائيلية) العاشرة أن روسيا ملتزمة بضمان أمن (إسرائيل). وقال: "نريد أن نرى تطبيقًا شاملًا لبنود اتفاقية فصل القوات من العام ١٩٧٤، على أن تنتشر في الجانب السوري من الحدود وحدات عادية للجيش السوري... ولكن الأولوية ستكون لضمان أمن إسرائيل، فهذه ليست مجرد كلمات فارغة المضمون في السياسة الخارجية الروسية". وأضاف أن روسيا "مستعدة وجاهزة لأخذ المخاوف الشرعية لدولة إسرائيل في كل ما يتعلق بأمنها" مبينًا أن هذه هي الرسالة الرئيسية التي نقلها الرئيس فلاديمير بوتين لرئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو في لقائهما الأخير.

أما فيما يخص الوجود الإيراني في الأراضي السورية، فقال: "إنهم يقومون بدور مهم للغاية في النشاط المشترك للقضاء على الإرهابيين؛ لذلك نعتقد أنه في هذه المرحلة الزمنية، فإن كل مطلب بإخراج القوات الأجنبية هو غير واقعي". وجاءت هذه المقابلة، بعد أن كان رئيس الحكومة (الإسرائيلية) التقى الأسبوع الماضي على مدار ساعتين وفدًا روسيًا رفيع المستوى ترأسه وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف ورئيس أركان الجيش الروسي فيلاري غريسموف. وأشار المسؤول (الإسرائيلي) في حينه إلى أن "الهدف هو إخراج القوات الإيرانية من كامل سورية، وأن الروس يرغبون في المرحلة الحالية إخراجهم إلى ما وراء حزام أمّني (١٠٠ كم)، وهذا جيد؛ لكنه ينبغي في نهاية المطاف إخراجهم من سورية".

الوعمي: إن من يراقب أوضاع المسلمين في المنطقة، ومحاولاتهم التي لم تتوقف منذ استعمارهم للتخلص منه، يحكم أنه لن يستقر قرار لأحد في المنطقة، لا أميركا، ولا روسيا، ولا (إسرائيل)... لن يستقر القرار إلا للأمة الإسلامية عبر دولة الخلافة الراشدة. وإن غداً لناظره قريب،



﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤١﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤٢﴾﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته

أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

في هذه الآيات يبين الله سبحانه:

١. أن على الأزواج أن يوصوا عند وفاتهم أن يُنفق على زوجاتهم وتوفر لهم السكنى حوالاً كاملاً، ولا يصلح للأولياء أن يجبروهن على ترك مسكنهن، والنفقة تستمر لهن إلى نهاية الحول، إلا إذا تركن المسكن باختيارهن، وعندها تنتهي النفقة عليهن، ولا يكون بعدها إثم على الأولياء ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن من قطع الحداد ولبس الجميل من الثياب أو الطيب ونحوهما، حسب المعروف لأمثالهن ضمن الأحكام الشرعية المتعلقة بحياتهن العامة والخاصة. ويختتم الله سبحانه الآية بأنه غالب على أمره يعاقب من خالف أمره، لا يأمر إلا بما يصلح أمر عباده ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي ليوصوا وصية، وهو طلب من الله سبحانه للذين أشرفوا على الموت أن يوصوا لأزواجهم من بعدهم.

وهذا الطلب جازم بدلالة ذكره سبحانه ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ وهذا المنطوق فيه دلالة إشارة أن هذه الوصية مرتبة عليهم وهم أموات، أي في ذمتهم إن ماتوا دون أن يفعلوها؛ وذلك لأن الله سبحانه لم يقل (إذا حضرته الوفاة) بل قال ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ وهو وإن كان المقصود من المنطوق ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ الذين يشارفون على الوفاة على سبيل المجاز، إلا أن استعمالها فيه دلالة إشارة كما قلنا على ترتب هذه الوصية في ذمتهم لو توفوا ولم يفعلوها.

﴿مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي النفقة عليهن والسكنى مدة الحول. وقد كان في أول الإسلام أن الرجل يجب عليه أن يوصي عند وفاته لزوجته من بعده النفقة والسكنى مدة سنة،

وكانت النفقة والسكنى واجب عليه مدة سنة إلى نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فأوجب الله فيها على النساء بعد أزواجهن عدة مقدارها أربعة أشهر وعشراً، وهي التي يجب على الزوج فيها النفقة والسكنى لأنها العدة. ولم يتركها الله سبحانه لوصية الأزواج، فلم يسند تحديد العدة إلى الأزواج بالوصية كما في ﴿وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ بل حدد الله سبحانه العدة، وجعل النفقة والسكنى واجبة فيها وليس أكثر منها.

ومن ثم نَسَخَتْ آية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ آية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ وصارت العدة للمرأة التي يجب فيها النفقة والسكنى للمرأة وهي أربعة أشهر وعشراً، وبعد ذلك فلا سكنى ولا نفقة للمرأة المتوفى عنها زوجها إلا نصيبها من ميراثه الربع إن لم يكن له ولد، والثلث إن كان له ولد كما جاء في سورة النساء ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينَ﴾ النساء/آية ١٢.

ولا يقال كيف تنسخ آية البقرة السابقة في التلاوة الآية اللاحقة في التلاوة؟ لا يقال ذلك لأنها وإن كانت قبلها في التلاوة إلا أنها بعدها في النزول، ولكن الرسول ﷺ أمر بوضعها في التلاوة في هذا المكان لأن ترتيب الآيات في السور توقيفي لحكمة يعلمها الله.

وهي مثل الآية ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ البقرة/آية ١٤٢ في التلاوة تسبق آية ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة/آية ١٤٤ علماً بأنها في النزول بعدها كما هو ثابت في معناها وكما بيناه سابقاً في موضعها.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس: "قال: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فكان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته وينفق عليها من ماله، ثم أنزل الله تعالى ذكره بعد ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فهذه عدة المتوفى عنها زوجها إلا أن تكون حاملاً فعدتها أن تضع ما في بطنها. وقال في ميراثها: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ﴾ فبين الله ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة" (الدر المنثور، تفسير الطبري، البيهقي).

ولذلك نقول إن هذه الآية كانت في أول الإسلام وكانت ترتب على الأزواج وجوب النفقة والسكنى لأزواجهن اللاتي يتوفون عنهن مدة حول كامل، وكان يحرم على الورثة أن يخرجوهن من السكنى أو يمنعوهن النفقة طيلة الحول ما دمن لم يخرجن من المسكن.

فإن خرجن باختيارهن وتركن المسكن المعين فقد انتهى وجوب النفقة لهن، وعندها لا جناح ولا إثم لا على الأولياء ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن من لباس أو طيب أو نحوه في حدود الشرع ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾. وقد استمر ذلك إلى أن نزلت الآية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فنسخت وجوب النفقة والسكن السابقة وحصرتها فقط في العدة ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، وجعلت النفقة والسكنى واجبة للمرأة خلال عدتها فقط.

أخرج مالك في الموطأ أَنَّ الْفُرَيْعَةَ بِنْتَ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسْأَلُهُ أَنْ تَرْجَعَ إِلَى أَهْلِهَا فِي بَنِي خُدْرَةَ؛ فَإِنْ زَوْجَهَا خَرَجَ فِي طَلَبِ أَعْبَدٍ لَهُ أَبْقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِطَرْفِ الْقُدُومِ لِحَقِّهِمْ فَقَتْلُوهُ. قَالَتْ: فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَرْجَعَ إِلَى أَهْلِي فِي بَنِي خُدْرَةَ؛ فَإِنْ زَوْجِي لَمْ يَتَرَكْنِي فِي مَسْكَنِ يَمْلِكُهُ وَلَا نَفَقَةٍ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَانْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي الْحَجَرَةِ نَادَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ أَمَرِي فَنُودِيْتُ لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ قُلْتُ؟ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ الَّتِي ذَكَرْتُ لَهُ مِنْ شَأْنِ زَوْجِي. فَقَالَ: امْكُنِّي فِي بَيْتِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، قَالَتْ فَاعْتَدَدْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا. قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ أَرْسَلَ إِلَيَّ فَسَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَاتَّبَعَهُ وَقَصَى بِهِ" (الموطأ) قال الترمذي عن هذا الحديث حسن صحيح.

ثم يختم الله سبحانه هذه الآية بقوله سبحانه ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي أن الله غالب على أمره يعاقب من خالف أمره، وأنه يقضي بما هو خير لعباده وما فيه مصلحتهم الحقة فليمتثلوا أمره ويجتنبوا نهيه يفوزوا في الدنيا والآخرة.

٢. يؤكد الله سبحانه في الآية الثانية وجوب المتاع للمطلقات غير المدخول بهن وغير المسمى لهن مهر، ففي الآية السابقة ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ فقال أحد المسلمين: إن أحسنت فعلت، وإن لم أحسن لم أفعل. فأنزل الله هذه الآية لبيان أن متعة هذا النوع من المطلقات فرض ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وقد بينا ذلك في تفسير تلك الآية.

وهذه الآية والآية السابقة متصلتان في آيات الطلاق قبلها، فالآية السابقة ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ منسوخة بالآية قبلها ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ والآية هذه ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَّعٌ﴾ لإزالة الالتباس في الآية ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ وبيان أن هذه المتعة على الوجوب.

٣. ويبين الله سبحانه في الآية الأخيرة أنه أنزل هذه الأحكام لتعقلوها وتتدبروها وتنفذوها، ففيها خيركم في الدنيا والآخرة فهي التي تحقق لكم حياة طيبة مع أزواجكم وأبنائكم وسائر أموركم ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ■



صلة الرحم تُدخل صاحبها الجنة،

وقاطع الرحم لا يدخل الجنة.

ورد في سنة المصطفى ﷺ الكثير من الأحاديث التي تدعو إلى صلة الأرحام وحرمة قطيعتها، وإن دَلَّ ذلك على شيءٍ فإنما يدلُّ على أهميَّة صلة الرحم في الإسلام وعظمتها، وضرورتها في تكاتف الأسر وتماسكها وتعاضدها ونشر الود والإلفة بين أفرادها، ومما جاء من الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع من أحاديث النبي ﷺ:

١- صلة الرحم تُدخل صاحبها الجنة:

عن أبي أيوب الأنصاري، رضي الله عنه: «أَنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قال: ما له؟ ما له؟ وقال النبي ﷺ: أَرْبُّ ما له، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

يُظهر الحديث أَنَّ رسول الله ﷺ قد قرن صلة الرحم بعبادة الله التي ترتبط بالناحية العقائدية، والصلاة والزكاة اللتين تُمثِّلان جانب العبادات، فكانت صلة الرَّحِم مثلاً حيّاً على مدى أهميتها عند الله، إذ أشار النبي لأهم الجوانب في الإسلام لدخول الجنة وهي: عبادة الله دون شريك، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصلة الرحم.

٢- صلة الرَّحِم طريقٌ لرضى الرحمن:

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ الرَّحِمُ شُجِنَتْ مَتَمَسَّكَ بِالْعَرْشِ تَكَلَّمَ بِلِسَانِ ذُلْقَى، اللَّهُمَّ صَلِّ مِنْ وَصَلَنِي وَاقْطَعْ مِنْ قَطَعَنِي، فيقول تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم، وإني شققت للرحم من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن نكثها نكثته».

فمن وصل رحمه رضي الله عنه ووصله كما وصلها، ومن قطع رحمه وأساء معاملتها كبَّه الله وسخط عليه.

٣- صلة الرَّحِم وصية النبي ﷺ لأصحابه:

عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه- أنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ أَنْ لَا تَأْخُذَنِي فِي

اللَّهِ لَوْمَةً لَّائِمًا، وَأَوْصَانِي بِصَلَةِ الرَّحْمِ وَإِنْ أَدْبَرْتَ».

٤- الرَّحْمُ مَأْخُودٌ مِنْ اسْمِ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ: عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّحْمُ مَعْلَقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

٥- صَلَاةُ الرَّحْمِ تُبَارِكُ فِي الْعَمْرِ، وَتَزِيدُ فِي الرِّزْقِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ رِزْقُهُ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُبَارِكُ فِي عَمْرٍ مِنْ يَصِلُ رَحِمَهُ وَيَزِيدُ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ يَسْتَغْلَهُ بِمَا يَفِيدُهُ وَيَعُودُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ، كَمَا يُبَارِكُ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيَزِيدُ فِيهِ وَيَجْعَلُ لَهُ فِيهِ الْخَيْرَ.

٦- مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ صَلَاةُ الرَّحْمِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ قَالُوا: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَجِئْتُ لَأَنْظُرَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ. فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

٧- صَلَاةُ الْأَرْحَامِ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ إِيمَانِ الْمُسْلِمِ وَصَدَقَهُ وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ».

إِنْ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ حَقًّا سَيَنْعَكِسُ إِيمَانُهُ عَمَلِيًّا عَلَى بَاقِي أُمُورِهِ الْحَيَاتِيَّةِ، فَمَنْ صَدَّقَ إِيمَانَهُ وَصَلَّ رَحِمَهُ كَمَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلُّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعٍ رَحِمٍ».

٨- قَاطِعُ رَحِمِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ:

فَعَنْ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ

موقف السلف الصالح

من العلاقة بين العلماء والحكام (١)

هذه طائفة من مواقف من فهم إرث النبوة حق الفهم، وقام بالميثاق الذي أخذه الله على العلماء حق القيام، فحفظوا العلم ولم يزروا به، فحفظهم الله وجعلهم أئمة بحق، تنير مواقفهم الدرب إلا من أعشت عيناه، فلم ينفعه نور... هذه المواقف الصادقة مع الله صار علماء اليوم من أبعد الناس عنها، وصرنا نحن المسلمين بأمس الحاجة إليها، صاروا معواناً للحكام يزينون الباطل، ويزيفون الدين، وكانوا واسطة عقد فارط بين المسلمين وحكامهم... وهذه الطائفة من المواقف هي موجهة إلى علماء اليوم لتذكّر صالحهم، وتزجر طالحهم، وموجهة إلى المسلمين ليلتفوا حول الصالحين من العلماء، ولينفضوا عن طالحهم.

- أخرج البيهقي، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: «اتقوا أبواب السلطان».
- وأخرج ابن سعد في «الطبقات» عن سلمة بن زبيط قال: «قلت لأبي، وكان قد شهد النبي صلى الله عليه وسلم، ورآه وسمع منه: يا أبت، لو أتيت هذا السلطان فأصبت منهم، وأصاب قومك في جناحك؟ قال: «أي بني، إني أخاف أن أجلس منهم مجلساً يدخلني النار».
- وأخرج الدارمي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من طلب العلم لأربع دخل النار: ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء».

- وأخرج ابن ماجه، والبيهقي، عن ابن مسعود، قال: «لو أن أهل العلم صانعوا العلم، ووضعوه عند أهله، لسادوا به أهل زمانهم؛ ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم، فهانوا عليهم».

- وأخرج ابن أبي شيبة، عن حذيفة بن اليمان، رضي الله تعالى عنه، قال: «ألا لا يمشين رجل منكم شبراً إلى ذي سلطان».

- وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو نعيم في «الحلية»، عن حذيفة، رضي الله تعالى عنه، قال:

«إياكم ومواقف الفتنة! قيل: وما مواقف الفتنة؟ قال أبواب الأمير؛ يدخل الرجل على الأمير، فيصدق بالكلذب، ويقول ما ليس فيه».

- وأخرج ابن أبي شيبة، والبيهقي، عن سلمة بن قيس، قال: لقيت أبا ذر، فقال: «يا سلمة بن قيس! ثلاث فاحفظها: لا تجمع بين الضرائر، فإنك لن تعدل ولو حرصت، ولا تعمل على الصدقة، فإن صاحب الصدقة زائد وناقص، ولا تغش ذات سلطان، فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً، إلا أصابوا من دينك أفضل منه».

- روى أبو نعيم في الحلية، عن ميمون بن مهران، أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان قدم المدينة، فبعث حاجبه إلى سعيد بن المسيب، فقال له: أجب أمير المؤمنين! قال: وما حاجته؟ قال: لتحدث معه. فقال: لست من حدّائه. فرجع الحاجب إليه فأخبره، قال: دعه. - وروى الخطيب، عن حماد بن سلمة: أن بعض الخلفاء أرسل إليه رسولاً يقول له: إنه قد عرضت مسألة، فأتنا نسألك. فقال للرسول: قل له: «إنا أدركنا أقواماً لا يأتون أحداً؛ لما بلغهم من الحديث. فإن كانت لك مسألة فاكتبها في رقعة، نكتب لك جوابها».

- وأخرج أبو الحسن بن فهر في كتاب «فضائل مالك»، عن عبد الله بن رافع وغيره قال: «قدم هارون الرشيد المدينة، فوجّه البرمي إلى مالك، وقال له: احمل إليّ الكتاب الذي صنفته حتى أسمع منك». فقال للبرمي: «أقرئه السلام وقل له: إن العلم يزار ولا يزور». فرجع البرمي إلى هارون الرشيد، فقال له: يا أمير المؤمنين! يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك في أمر فخالفك! أعزم عليه حتى يأتيك. فأرسل إليه فقال: «قل له يا أمير المؤمنين، لا تكن أول من وضع العلم فيضيعك الله».

- وروى غنجار في تاريخه عن ابن منير: أن سلطان بخارى، بعث إلى محمد بن إسماعيل البخاري يقول: احمل إليّ كتاب «الجامع» و «التاريخ» لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: «قل له أنا لا أذل العلم، ولا آتي أبواب السلاطين، فإن كانت لك حاجة إلى شيء منه، فلتحضرني في مسجدي أو في داري».

- وقال نعيم بن الهيصم في جزئه المشهور: «أخبرنا خلف بن تميم عن أبي همام الكلاعي، عن الحسن، أنه مر ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين، فقال: «أقرحتم جباهكم، وفرطحتم نعالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟! أما إنكم، لو جلستم في بيوتكم لكان خيراً لكم، تفرقوا فرّق الله بين أعضائكم» ■

السعودية تسير علناً عوجاً في تسليم فلسطين ليهود

مع خطة الولايات المتحدة للشرق الأوسط الجديد، وعملها على تغيير طبيعة الصراع في المنطقة، ترى (إسرائيل) أنها أمام فرصة تاريخية طالما انتظرتها، وهي أن تصبح جزءاً من دول المنطقة معترف بها، وهي تعوّل على التغييرات التي تحدث في السعودية، وخاصة في السياسة الخارجية، وترى أن فيها فرصتها لتحقيق ذلك. ومن ذلك محاولات السعودية الحصول على الوصاية على القدس؛ ولذلك شهدت الأيام القليلة الماضية حديثاً غير منقطع عن هذا الخلاف، وتحاول دق إسفين بين السعودية والأردن. وفي هذا المجال:

- صرح زعيم المعارضة (الإسرائيلية) إسحاق هيرتسوغ لصحيفة «إيلاف» السعودية: «يجب أن يكون هناك دور ومسؤولية للسعودية على الأماكن المقدسة في القدس؛ بحكم كونها الدولة التي تضم أقدس أماكن الإسلام، خصوصاً أن لها تجربة في إدارة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة».

- قال الخبير (الإسرائيلي) في الشؤون الفلسطينية يوني بن مناحيم: إن «السعودية دخلت على خط الصراع الناشب حول السيطرة والإشراف على الأوقاف الإسلامية في مدينة القدس، بين الدول ذات العلاقة كالأردن والسلطة الفلسطينية، حيث أبلغته أوساط فلسطينية أن الرياض تبذل جهوداً لزيادة تأثيرها على المدينة؛ مما يثير غضب رام الله وعمان». وأضاف في مقاله على موقع المعهد الأورشليمي للشؤون العامة: أن «الرياض تستغل أموالها ودعمها المادي لسحب البساط من تحت أقدام رام الله وعمان، مع العلم أن المسجد الأقصى يعتبر المكان المقدس الثالث لدى المسلمين بعد مدينتي مكة والمدينة المنورة السعوديتين».

- تذكر دراسة صادرة عن مركز «بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية» (الإسرائيلي): إن «سعي السعودية لانتزاع الإشراف على المقدسات بالقدس يهدف إلى دفع الخطة الأميركية لتسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، التي يطلق عليها صفقة القرن»، ويشير كبير الباحثين في المركز «جيمس دوسر»، إلى أن الرياض، وحليفها أبوظبي قامتتا بـ «تعظيم حالة عدم الاستقرار في الأردن؛ حيث تعتقد قيادة البلدين أنه كلما زادت حالة عدم الاستقرار في البلاد انخفض مستوى ممانعة الحكم في عمان لصفقة القرن». وتشدد الدراسة على أن «السعودية ترى في الإشراف على الأماكن المقدسة مظهرًا من مظاهر «الدبلوماسية الدينية»، التي يمكن أن تعزز حضورها الإقليمي، بعد أن أنفقت السعودية على مدى أربعة عقود ١٠٠ مليار دولار لتعزيز حضورها في العالم الإسلامي السني».

الوعي: مع وصول الملك سلمان وابنه ولي العهد محمد إلى الحكم، والسعودية تسير علناً عوجاً، فقد سقط قناع هذه الأسرة وانكشفت خياناتها بعد أن كانت متسترة. قد يظن هؤلاء، هم وأسيادهم الأميركيين، أنهم في حال غلبة على الأمة، وأن عليهم أن يكسروا محرمات دينها جهاراً نهاراً؛ ولكن أتى لهم ذلك؟! إن هم إلا يظنون. فالأمة حية وقوية، وهي أوعى من كل فترة سابقة، ولها موعد مع هؤلاء وأمثالهم من الحكام، سيكون الحساب فيه عسيراً، ولن يخلفوه بإذن الله... ■

روبرت فيسك: معادلة صفقة القرن للفلسطينيين: المال مقابل السلام والفقير عقاب الرفض

ذكر الكاتب والصحافي البريطاني روبرت فيسك في مقاله في صحيفة «الإندبندنت»، قائلاً: أولاً، يعلن دونالد ترامب القدس عاصمة لإسرائيل، وبالتالي يرّوِّع الفلسطينيين ويحرمهم من عاصمتهم في شرق المدينة. فيقول محمود عباس إنه لن يتحدث بعد الآن مع الولايات المتحدة. فيحتج ترامب ويقول في تغريدة: «إننا ندفع للفلسطينيين مئات الملايين من الدولارات سنوياً ولا نحظى بالتقدير أو الاحترام» ويقطع ٣٠٠ مليون دولار من المساعدات الأميركية إلى اللاجئين، فيصبح ما يمنحه للفلسطينيين المضطهدين المحاصرين ٦٠ مليون دولار فقط. ويضيف فيسك: بالفعل فإن وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين (الأونروا) التي تساعد ٥,٣ مليون لاجئ فلسطيني من خلال المساعدات الدولية، بدأت بالتخلص من موظفيها، وطردت ١١٣ منهم في غزة وحدها في الأسبوع الماضي... ويواجه أطباء وممرضات ومعلمون وموظفون فلسطينيون آخرون يبلغ عددهم ٣٠ ألف شخص البطالة. وبالتالي يهدد الجوع مزيداً من الجماهير المتعبة الفقيرة في غزة. ويتساءل فيسك: «لماذا فعل (ترامب) ذلك؟... ويجب: يقطع المساعدات الإنسانية عنهم ويقودهم إلى اليأس، ثم يعرض ترامب أن يغرقهم بالمال في «الصفقة النهائية» إذا توقفوا فقط عن المطالبة بإقامة دولة مستقلة ووضع حد للاستيطان... ويعلق الكاتب ساخراً: مع وجود الكثير من الأموال، لن تكون هناك حاجة إلى الأونروا، لأنه لن يكون هناك لاجئون يعانون من الفقر (أكثر من نصف سكان غزة البالغ عددهم مليوني نسمة، بمعدل بطالة يبلغ ٤٤٪، يعتمدون على أونروا) لأن اللاجئين سيكونون ميسورين، إن لم يكونوا أغنياء، مع كل تلك الوظائف ذات الأجور الأفضل و«الحياة الواعدة». وداعاً لجميع تهديدات غزة لإسرائيل... وبعبارة أخرى، يجب استبدال مصطلح القضية الفلسطينية بقضية إنسانية. السلام إذن سيكون اقتصادياً وليس سياسياً. يضيف فيسك أن السعوديين والإماراتيين والمصريين سيشاركون في هذه العملية أيضاً. إذ ستكفل أبو ظبي بمحطات الكهرباء، وستفتح القاهرة أسواقاً حرة في رفح، وستشارك الرياض في الشركات الفلسطينية؛ ربما تكون مجرد أحلام، ولكنها مناسبة للجماهير.

ويعلق فيسك، لقد أشرت من قبل إلى أن هذه الصفقة عبارة عن: المال مقابل السلام وليس الأرض مقابل السلام - الدولارات بدلاً من العاصمة الفلسطينية في القدس، ووضع حد للاستعمار اليهودي، و«حق العودة»، وهلم جرا إنه حل «ترامبي» حقيقي.

الوعي: لقد قلناها مراراً وتكراراً، إن قضية فلسطين هي قضية المسلمين جميعاً، ولن يحلها إلا الإسلام، ولن تُحلَّ إلا بعد إنهاء هذه الحالة الشاذة من تسلط الغرب علينا، وفرض أنظمة حكم علمانية وحكام عملاء ظالمين بدت سوءاتهم، وآخرهم كانوا حكام السعودية. إن قضايا المسلمين واحدة، وحلها واحد، وهو إقامة الخلافة الراشدة. والأمة بهذا الاتحاح. قال رسول الله ﷺ « ثُمَّ

تَكُونُ خِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ » ■